

لَمَحَاتُ عِلْمِيَّة

وَقُطُوفُ

تَفْسِيرِيَّة

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في
القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتُ عِلْمِيَّةٍ وَقُطُوفُ تَفْسِيرِيَّةٍ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في
القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تجلّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البيئة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفسِّري الأمس مُعاصرين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِي: "كَانَ عَمْرُ بْنُ الْحَسَامِ يَقْرَأُ كِتَابَ الْمَجْسطِي عَلَى عَمْرِ الْأَبْهَرِيِّ فَقَالَ لَهُمَا بَعْضُ الْفُقَهَاءِ يَوْمًا: مَا الَّذِي تَقْرَأُونَهُ؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيُّ أَفْسِرُ قَوْلَهُ تَعَالَى {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا} فَأَنَا أَفْسِرُ كَيْفِيَّةَ بِنَانِهَا، وَلَقَدْ صَدَقَ الْأَبْهَرِيُّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ أَكْثَرَ تَوْعَلًا فِي بَحَارِ الْمَخْلُوقَاتِ كَانَ أَكْثَرَ عِلْمًا بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ"^١، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م^٢، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتصلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمَنَّ نِبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٨٧ و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١ فصلت: ٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧ النمل: ٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦ الأنعام: ٦٦ و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠ يونس: ٣٩، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمَنَّ نِبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٣٨ و٨٧ و٨٨.

د. محمد دودح



^١ فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٥٤١٤).

^٢ موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخُلُقَ ثُمَّ اللَّهُ
يُنشئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
٢٩ العنكبوت: ٢٠.

الفقرة Paragraph

﴿أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير. قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم
الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير. يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تفلتون. وما أنتم
بمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٢٩ العنكبوت: ١٩-٢٢.

كلمات إرشادية keywords

﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخُلُقَ﴾، ﴿النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾.

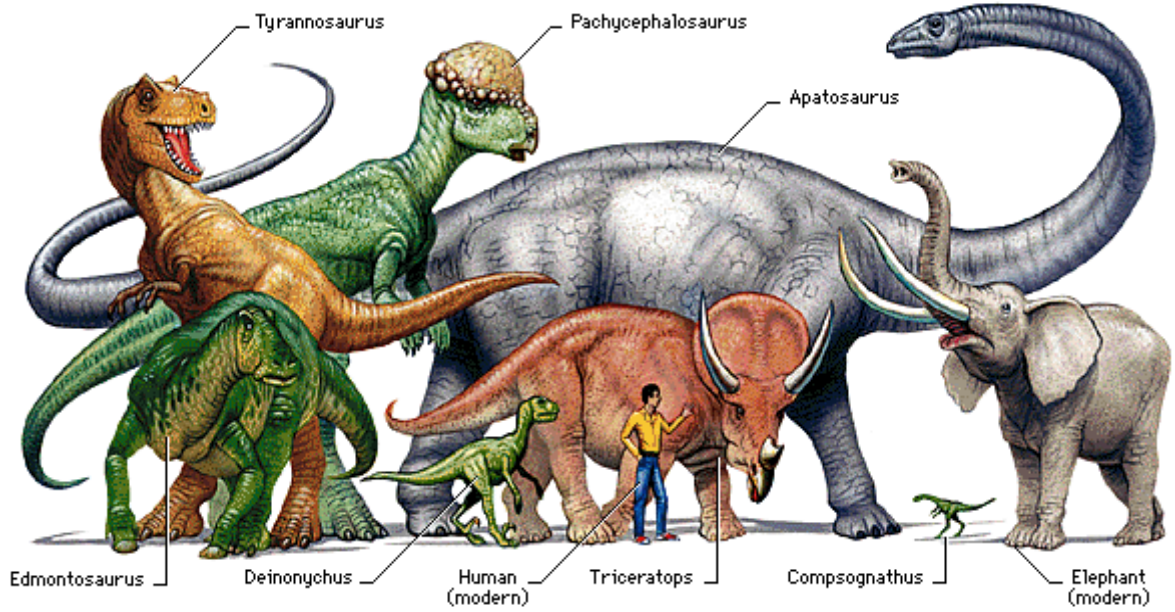
ترجمة (تفسيرية) Translation

Say: Travel (all over) in the earth, and see how Allah did originate creation; so will Allah produce a later creation; surely Allah has power over all things (Omnipotent).



لَمَحَاتُ بَيَانِيَّةٍ وَعِلْمِيَّةٍ

Eloquent & Scientific Hints



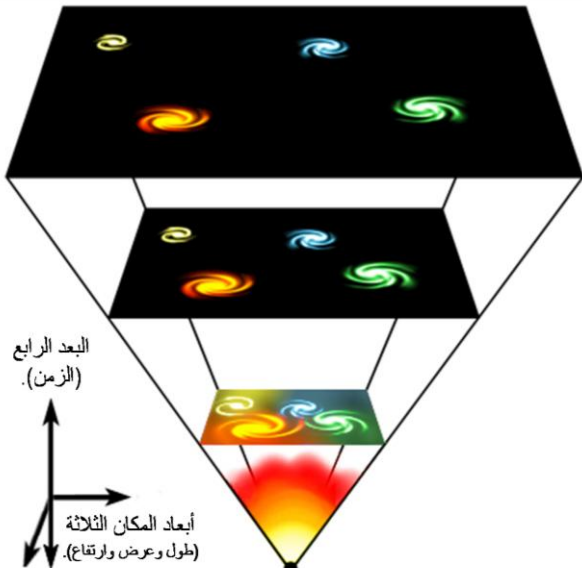
الإنسان اليوم

كشفت التنقيب حديثاً فواصل من الديناصورات تفوق بمرات حجم الإنسان اليوم؛ فالأرض إن لم تكن يوماً كما هي اليوم، وفي قوله تعالى: ﴿سُورِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾؛ وعد باكتشاف البشرية صدق الأنبياء العلمية عندما تمتلك أدوات العلم، ومن تلك الأنبياء الفريدة قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ العنكبوت: ٢٠؛ وهو يُفيد أن التنقيب قد يكشف صفحات من تاريخ العالم قد طواها الزمان تشمل الديناصور وتفيض، ولا يُعارضه النبأ: ﴿مَا أَشْهَدَتْهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذِينَ عِبَادًا﴾ الكهف: ٥١؛ فلا يُفيد أن البحث في تاريخ العالم طريق مسدود وقد طالب بالسير فيه، وإنما يُفيد أن نشأة الإنسان هي الفصل الأخير.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ العنكبوت: ٢٠؛ دلالة صريحة على أن لهذا الكون ابتداء، ويُفضي اكتشاف الكيفية إلى النشأة بغير سابق مثال؛ ليقطع بوحدانية الله تعالى وقدرته على الإعادة والبعث والحساب، وهو صريح التعقيب: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ العنكبوت: ٢١.

والتصور الحالي أن آخر حدث في نشأة عالمنا هو تبرد السطح المُلتهب للأرض؛ فسمح لبخار الماء المُتكثف في الجو الأولي لينهمر لعصور مطراً، وأن الماء غمر سطح الأرض وأحاط بالقارة الأولية الأم Pangea؛ وكَوَّنَ المُحيطَ الأولي الأم Panthalassic Ocean، فلم يكن للماء إذن وجود قبيل اكتمال خلق السموات والأرض تمهيداً لنشأة الحياة: ﴿أَوَّلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا

مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ ٢١ الأنبياء: ٣٠؛ قال ابن عاشور: "الرَّتْقُ الْإِتِّصَالُ وَالتَّلَاصُقُ بَيْنَ أَجْزَاءِ الشَّيْءِ، وَالْفَتْقُ ضِدُّهُ؛ وَهُوَ الْإِنْفِصَالُ وَالتَّبَاعُدُ بَيْنَ الْأَجْزَاءِ، وَالْإِخْبَارُ عَنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِأَنَّهُمَا رَتْقٌ؛ إِخْبَارٌ بِالْمَصْدَرِ لِلْمَبَالِغَةِ..، لِمَا فِيهِ مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى عَظَمِ الْقُدْرَةِ وَعَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ.. يَكُونَ.. الْفَتْقُ عَلَى التَّوْزِيعِ.. (و) أَنْ يُرَادَ بِالرَّتْقِ اتِّحَادُ الْمَوْجُودَاتِ (عند بدء الخلق) حِينَ كَانَتْ مَادَّةً وَاحِدَةً"^٣.



بدء الخليقة مادة أولية كالقطن قبل أن يُنسج.

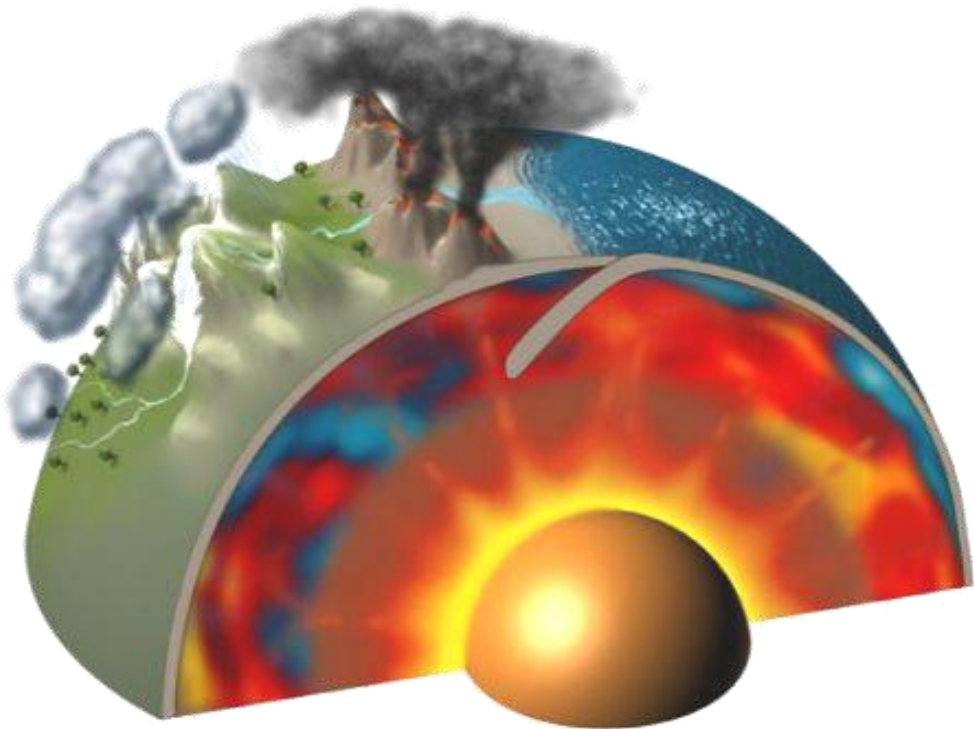
^٣ محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتلوين، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤ هـ (١١٧/٥٣).

أحد امتدادات غصن أكبر يُسمى عنقود النجوم المحلية Local Cluster of Stars، وهو يُكون مع أمثاله في أفق أعلى ما يُسمى بالعنقود العملاق للنجوم Super-Cluster of Stars، وهو أحد لبنات مجرتنا: الطريق اللبني، وهي بدورها ضمن زمرة تربو على ٣٠ مجرة تُسمى العنقود المجري المحلي Local Cluster of Galaxies، وهو بدوره ليس إلا أحد لبنات العنقود العملاق للمجرات Super-Cluster of Galaxies، وقد كان الظن أنه آخر ما يُمكن رصده؛ حتى ثبت أخيراً أنه يتجمع مع مئات العناقيد العملاقة ليشكل خيط رفيع في معمار النسيج الكوني Cosmic Weave، وليست الأرض المُفعمة بالحياة سوى ثمرة في شجرة مُترامية الأطراف أغصانها لا تُعد؛ فكم يَعْج إن هذا الكون بالذكاء!.

فحمل الفتق على التوزيع، يعني أن تَفْتَقُ البنية الأولية مُتدرج في مراحل؛ تشققت الكتل الأكبر إلى أصغر فأصغر لتشكل الفضاء إلى سماوات؛ حتى استقلت كتلة شكلت كوكب الأرض من بعد، وترتيب ذكر الموجودات في مقام بيان أحداث الخلق يتفق مع التصور الحالي في علم الكون: تجمعات مجرية عظمى تكون بنية خيوط النسيج الكوني؛ مُكونة من تجمعات مجرية أقل لبنة بناء كل منها مجرة، والمجرة تتكون من تجمعات نجمية عظمى مُكونة من مجموعات نجمية أقل؛ وحتى سديم مجموعتنا الشمسية، حيث استقلت الكتلة المركزية وتكاثفت تحت تأثير جاذبيتها فازدادت حرارتها وكونت الشمس التي أخذت في الإضاءة، بينما استقلت الكواكب والأرض وتابعتها القمر عند الأطراف، ونتيجة للتكاثف كان القمر جسماً مُلتهباً؛ ما لبث أن برد سطحه وفقد غلافه الجوي لقلته كتلته، بينما حافظت جاذبية الأرض المُلتهبة على الجو الذي تشكل لاحقاً من الدخان المُتصاعد إلى طبقات وسماوات محلية تتبع الأرض في سيرها.

وتتكامل النصوص في القرآن الكريم لتروي قصة الخليفة مُحَافِظَةً على نفس ترتيب الأحداث بلا أدنى تعارض؛ وتتفق مع ما انتهى إليه علم الكون اليوم، وما أجمله موضع فصله سواه، وكان إيجاد الماء يوماً في ترتيب النظم قبيل اكتمال خلق السماوات والأرض تمهيداً لنشأة الحياة، والقصد منذ البدء التمهيد لنشأة الإنسان المفطور على العبادة: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ (٢١ الأنبياء: ٣٠)؛ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (١١ هود: ٧).

والعرش من المُتَشَابِه؛ الأَسْمُ فِيهِ: التَّفْوِيضُ لِعِلَامِ الْغُيُوبِ، وَإِنْ تَأَوَّلُوهُ عَلَى التَّمَثِيلِ بِأَحْوَالِ الْمُلُوكِ لِيَبَانَ اسْتِقْرَارُ الْمُلْكِ بَعْدَ اكْتِمَالِ الْخَلْقِ؛ وَأَنْ السُّلْطَانَ وَالتَّصَرُّفَ وَتَدْبِيرَ أَمْرِ كُلِّ شَيْءٍ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، قَالَ مُحَمَّدٌ رَشِيدٌ رِضَا: "لَمْ يَشْتَبِهْ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ فِي مَعْنَى اسْتِوَاءِ الرَّبِّ تَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ؛ عَلَى عِلْمِهِمْ بِتَنْزُّهِهِ سُبْحَانَهُ عَنْ صِفَاتِ الْبَشَرِ..، إِذْ كَانُوا يَفْهَمُونَ أَنَّ اسْتِوَاءَهُ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ عِبَارَةٌ عَنِ اسْتِقَامَةِ أَمْرِ مُلْكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَهُ وَإِنْفِرَادِهِ هُوَ بِتَدْبِيرِهِ"^٤، أَي أَنَّ تَدْبِيرَهُ تَعَالَى لِأَمْرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ اكْتَمَلَ خَلْقُهُمَا، وَقَالَ الْأَوْسِيُّ: "إِذَا فَسِّرَ الْعَرْشَ بِالْمُلْكِ؛ صَحَّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا اسْتَوَى مُلْكُهُ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"^٥، وَصَرِيحُ النُّصُوصِ؛ خَاصَّةً بِدَلَالَةِ (ثُمَّ) عَلَى التَّعْقِيبِ، أَنَّ الْاسْتِوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ مُؤَخَّرٌ بَعْدَ اكْتِمَالِ الْخَلْقِ وَاسْتِقْرَارِ الْأَمْرِ وَتَفَرُّدِهِ تَعَالَى بِتَدْبِيرِهِ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ ١٠ يُونُسُ: ٣، ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ١٧ الْأَعْرَافُ: ٥٤، ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ ١٣ الرَّعْدُ: ٢، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ. يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ ٣٢ السُّجْدَةُ: ٥٤.



وَالثَّابِتُ أَنَّ الْمَاءَ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْأَرْضِ حِينَ التَّهَابِهَا مِنَ الْبَرَائِكِ الْأُولِيَّةِ الْعَمَلَاةِ مَعَ انبِعَاثِ الدِّخَانِ مِنْهَا لِيَكُونَ الْجَوُّ الْأُولَى، وَبِصَرِيحِ التَّعْبِيرِ (بَعْدَ ذَلِكَ)؛ النَّصُّ قَاطِعٌ فِي أَنَّ وَجُودَ الْمَاءِ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ نَاتِجٌ عَنْ خُرُوجِهِ مِنْهَا أَثْنَاءَ تَكْوِينِهَا بَعْدَ نَشْأَةِ الْعَالَمِ وَإِجَادَتِهَا: ﴿أَلَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ نَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩ النَّازِعَاتُ: ٢٧-٣٣، وَلَمْ يَكُنِ الْمَاءُ قَدْ ظَهَرَ بَعْدَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ حَتَّى انخَفَضَتْ دَرَجَةُ حَرَارَتِهِ؛ فَسَمِحَ لِلتَّيَارَاتِ الْعَاتِيَةِ الْمُتَلَاظِمَةِ وَالْمُنْتَقِلَةِ بِبِخَارِ الْمَاءِ الْحَارِّ أَنْ تُنْزَلَ حَمُولَتِهَا وَتَصْبُ الْمَاءَ صَبًّا لِعُصُورٍ؛ حَتَّى غَمَرَ الْمَاءُ سَطْحَ الْأَرْضِ، وَهُوَ صَرِيحُ النَّبَأِ: ﴿وَبَيْنَمَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا. وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً تَجَاجًا. لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ ٧٨ النَّبَأُ: ١٢-١٥، الْمَاءُ إِذْ بَشِيرٌ يَسْبِقُ عَمْرَانَ الْأَرْضَ بِالْحَيَاةِ وَإِرْهَاصَ بَقَرٍ مَوْعِدِ مَجِيءِ الْإِنْسَانِ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾.

^٤ محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١٨/٤٠١).

^٥ شهاب الدين محمود الأوسى؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٤/٣٧٥).



يتكون ماء الأنهار نتيجة سقوط الأمطار على سفوح الجبال.

وتتفق أنباء القرآن الكريم إن مع ما كشفته العلوم من فصول قصة الخلق في عصر العلم، بخلاف التصور القديم بأن الماء كان موجوداً قبل خلق السماوات والأرض وأنه مادة بناء العالم، وهو ما تبناه كتبة الأسفار بحسب رواية أحدهم: **(السماوات كانت منذ القديم والأرض بكلمة الله قائمة من الماء وبالماء)** رسالة بطرس الثانية: 2Peter ٥ ١٣، بينما البدء وفق سفر التكوين هو خلق السماوات والأرض، ولم يوجد الماء على سطح الأرض إلا في نهاية التكوين، حين كانت الأرض خربة وخالية من الحياة لم تستقر بعد؛ تحيطها ظلمة الجو الأولي ورياح عاتية تهب على وجه المياه: **(في البدء خلق الله السماوات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه)** تكوين: ١١ و١ Genesis ٢، وتفسيرها: "كان الماء جزءاً من الأرض عندما كانت خربة وخالية.. رمزاً لعدم الاستقرار"^٦، وقال ابن تيمية: "في السفر الأول سفر الخليقة.. أُخبر أنه كان الماء فوق التراب، والهواء فوق الماء، وروح الله هي الريح التي كانت فوق الماء، هذا تفسير جميع الأمم من المسلمين واليهود وغفلاء النصارى.. والريح تسمى روحاً.. ولم يرد بذلك أن حياة الله كانت ترف على الماء؛ فإن هذا لا يقوله عاقل.. وهذا إخبار عن الريح التي كانت تتحرك فوق الماء"^٧.

واعترف الأب أسطفان شربنتيبييه بجرأة في كتابه المترجم باسم: (دليل إلى قراءة الكتاب المقدس) قائلاً: "قد نجد في الكتاب المقدس كثيراً من الأمور غير المطابقة للواقع"^٨، والاعتذار الذي تبناه المحدثون بحسب دائرة المعارف الكتابية: "يجب عدم الخلط بين التعليم الكتابي وأي نظرية علمية.. فالهدف من التعليم الكتابي.. هو هدف أخلاقي ديني"^٩، ولكن شهادة الواقع برهان قاطع يميز الدخيل عن الأصيل؛ ولا يردّها مدافع عن التقليد بمنقول صادم للعلم والوحي الأصيل.

أما رواية الحديث فتخضع لتحقيق المختصين سنداً وممتناً، والمشكل روايات تجعل الماء قبل خلق السماوات والأرض؛ بل بخمسين ألف سنة، والزمن وليد حركة أجرام؛ ولم تكن قد تكونت بعد، وظاهرها يعارض أزلية الخالق وحده تعالى وخلق السماوات والأرض من عدم وليس من الماء، وهي بذاتها متناقضة تنفي أزلية الماء: (كان الله تعالى ولم يكن معه شيء)، وتناقض الروايات بأن أول ما خلق الله تعالى القلم بالمقادير تصويراً لسبق التقدير، والمشكل متروك لأهل الاختصاص، وتمحك المتربص إن برواية حديث تهزّب للمتشابه من قواطع نصوص القرآن الكريم؛ وهو المتحدى وحده بلفظه ومعناه، ويكفي ورود الأنهار والبحار خلال نشأة الأرض ليقطع بأن الماء تكون مع السطح الصخري وليس بأزلي: **(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْ أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ)** ٢٧ النمل: ٦١.

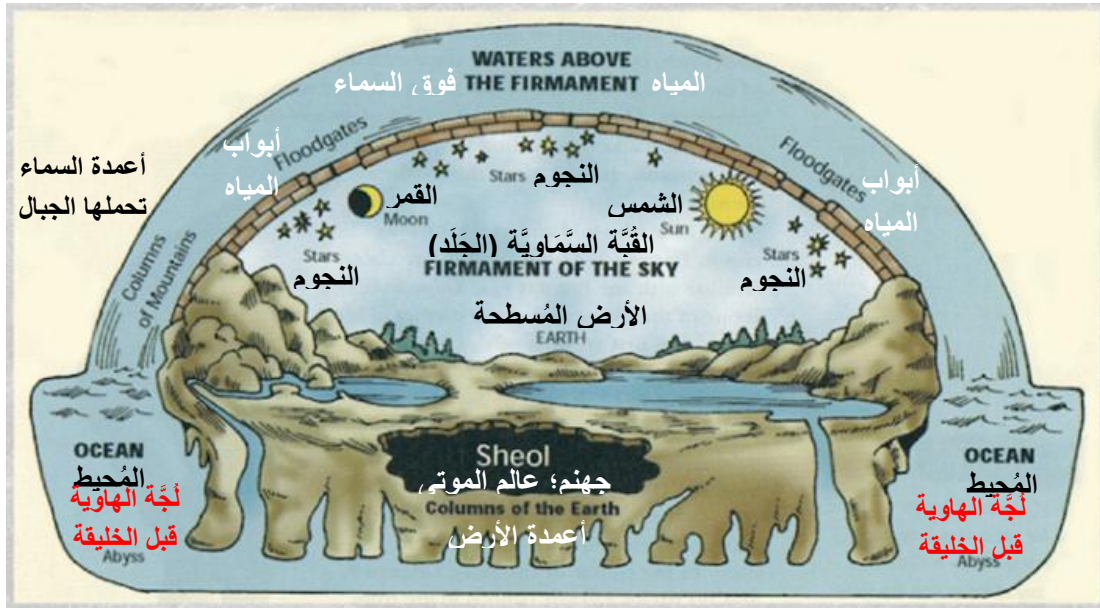
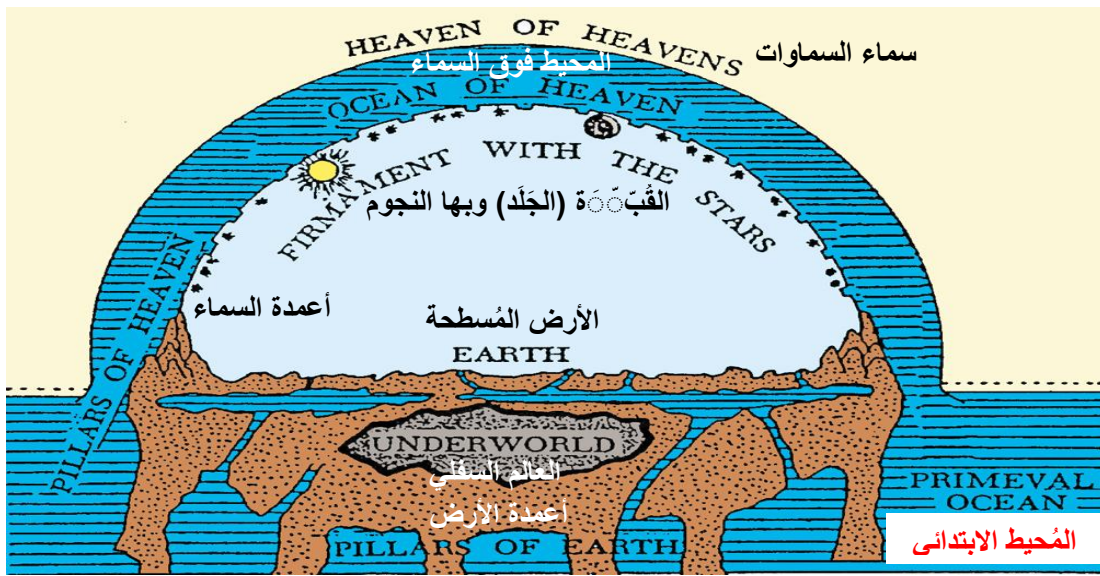
^٦ موقع الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي، كنيسة الإسكندرية مصر.

^٧ موقع الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي، كنيسة الإسكندرية مصر.

^٨ تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار العاصمة بالسعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م (١٣ ٢٤١).

^٩ الأب الفرنسي أسطفان شربنتيبييه؛ دليل إلى قراءة الكتاب المقدس، ترجمة الأب صبحي حموي اليسوعي؛ ١٢ تشرين الثاني ١٩٨٢ (ص٩).

^{١٠} دائرة المعارف الكتابية؛ مادة: خليقة.



والتصور عند كتبة الأسفار والذي تناقله الآباء لأجيال حتى مشارف عصر العلم؛ هو أن لجة الماء Abyss قبل الخليقة، والماء يُحيط بالسماوات فوق النجوم؛ ويحيط بالأرض المُسطحة وكأنها جزيرة في بحر ترتكز على أعمدة، أما أعمدة السماوات فترتكز على رءوس الجبال، وفي سماوات السماوات يُشرف كرسي مادي يُجسد عرش الله تعالى؛ فوقعوا في ضلال التجسيم، بينما التفويض هو مذهب أئمة المسلمين، قال طنطاوي: "أما الاستواء على العرش؛ فذهب سلف الأمة إلى أنه صفة الله تعالى بلا كيف ولا انحصار ولا تشبيه ولا تمثيل، لاستحالة اتصافه بصفات المُحدثين؛ ولوجوب تنزيهه عما لا يليق به: **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴿٤٢﴾ الشورى: ١١، وأنه يجب الإيمان بها كما وردت؛ وتفويض العلم بحقيقتها إليه تعالى"^{١١}.

وقال الإيجي: "**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴿١١﴾ هود: ٧؛ الكلام على التوزيع، فكان خلق السماوات في يومين والأرض.. في يومين، وما عليها من أنواع الحيوان والنبات والأقوات والجمادات في يومين، والمراد بالأيام هنا الأوقات، أي في ستة أوقات.. وقيل المراد هنا الأيام المعروفة.. أولها الأحد وآخرها الجمعة، ولا يستقيم ذلك لأنه لم تكن حينئذ أرض ولا سماء، وليس اليوم إلا عبارة عن مدة كون الشمس فوق الأرض.. وهذا مُشكل جداً إذ لا يتعين الأحد ولا غيره من الأيام إلا عند وجودها بالفعل، وفي تلك الحال لم يكن زمان قط؛ فضلاً عن تفضيله أياماً، فضلاً عن تخصيص كل يوم باسم"^{١٢}، وقال ناصر مكارم: "المقصود بذلك هو مراحل الخلق؛ التي استنفذت من الزمن.. ملايين بل وبلايين السنين"^{١٣}.

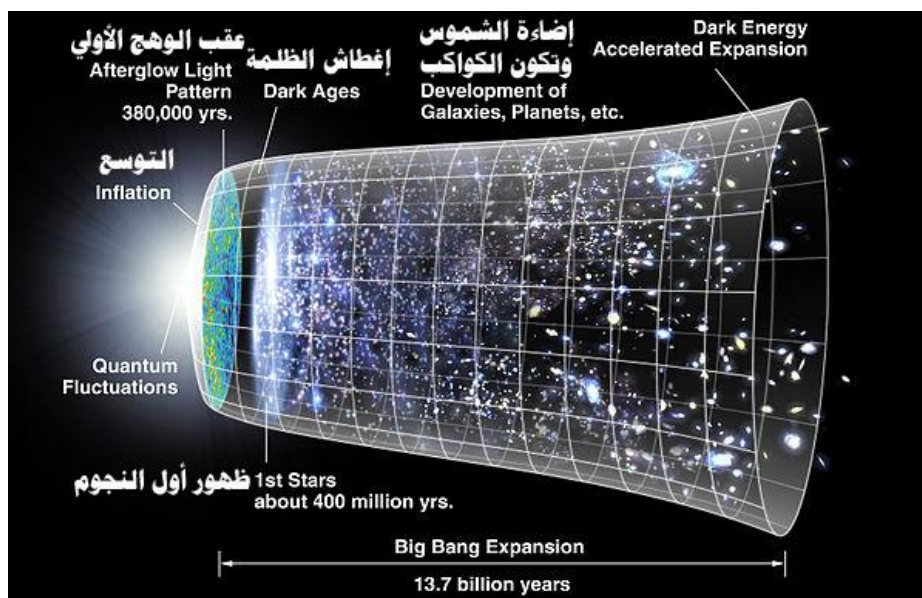
^{١١} محمد سيد طنطاوي؛ التفسير الوسيط، دار نهضة مصر بالقاهرة، الطبعة الأولى؛ ١٩٩٧ و ١٩٩٨ (١٥/ ٢٨٤).

^{١٢} أبو الطيب محمد صديق خان القَوّجي؛ فتح البيان في مقاصد القرآن، راجعه عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية صيدا بيروت؛ ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م (١٦/ ١٤٣).

^{١٣} ناصر مكارم الشيرازي؛ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الموقع الرسمي للمؤلف (١١٥/ ٣٦١).

وقال ابن كثير في نقد حديث إنزال الأيام الستة على أيام الأسبوع سنداً ومتمناً: "فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده.. عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي؛ فقال: (خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة..)؛ فقد رواه مسلم بن الحجاج.. والنسائي.. عن حجاج وهو ابن محمد الأعور عن ابن جريج.. وفيه استيعاب الأيام السبعة، والله تعالى قد قال: **(فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ)**، ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعاً"^{١٤}، "وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَرَائِبِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ"^{١٥}، وتطابق تلك الرواية بالفعل ما ورد في الأسفار من نشأة النبات قبل نُور الشمس: "وقال الله لئن ثبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزرًا وشجرًا ذا ثمر.. وكان مساء وكان صباح يوماً ثالثًا، وقال الله لتكن أنوارًا.. فعلم الله النورين العظيمين؛ النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل.. وكان مساء وكان صباح يوماً رابعاً" تكوين: ١٦ ١١ Genesis^{١٦}.

وفي سبعة مواضع يُقرر القرآن الكريم أن خلق العالم قد تم في عملية واحدة ذات أطوار كما لو كان بناءً واحدًا تتابع تشييد خطة تصميمه المُقدرة منذ بدء نشأته: **(فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ)** الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، هود: ٧، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، ق: ٣٨، الحديد: ٤، والأيام ذوات العدد في مقام بناء الكون هي أقرب مثال لبيان سبق التقدير والقصد منذ البدء لا الصدفة العمياء؛ خاصة أن التمثيل هو الأسلوب الأمثل في تعبير القرآن الكريم لكشف الحقائق الخفية بضرب المثل بالنظير المألوف، فيستقيم إذن أن تكون الستة أيام تمثيلاً؛ خاصة أن الزمن ناتج عن حركة أجرام، وعند التكوين لم توجد أجرام بعد، والكون بهذا ليس أبدي الوجود؛ وإنما تشكل في فترات مُتعاقة مُقدرة.



وقال الشوكاني: "المُرَاد بالأيام الأوقات؛ أي في ستة أوقات..، ولا يستقيم أن يكون المُرَاد بالأيام هنا الأيام المعروفة وهي المُقابلة لليالي؛ لأنه لم يكن حينئذ لا أرض ولا سماء"^{١٧}، وقال أبو السعود: "السموات في يومين، والأرض في يومين، وما عليها من أنواع الحيوانات والنبات.. في يومين، والمُرَاد بالأيام الأوقات..، فإن اليوم في المُتعارف زمان كون الشمس فوق الأرض، ولا يُتصور ذلك حين لا أرض ولا سماء"^{١٨}، وقال السمعاني: "قوله: **(قُلْ أَنْتُمْ أَنْتَكَفَرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ)** ٤١؛ فصلت: ١٠ و٩؛ أي في تمام أربعة أيام مع اليومين الأولين، وهذا كالرجل يقول: ذهبت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وذهبت من بغداد إلى الكوفة في خمسة عشر يوماً، أي في تمام خمسة عشر يوماً..؛ هذا كلام العرب، ومن طعن فيه لم يعرف كلام العرب"^{١٩}.

^{١٤} تفسير ابن كثير (ج ٢ ص ٢٢١).

^{١٥} أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ (١١/٢١٤).

^{١٦} ترجمة سميث وفانديك Smith & Van Dyke VSD، نشر كنيسة الأنبا تكلا هيمنوت الحبشي بالإسكندرية مصر.

^{١٧} فتح القدير للشوكاني (ج ٢ ص ٤٨٢).

^{١٨} تفسير أبو السعود (ج ٤ ص ١٨٧).

^{١٩} تفسير السمعاني (ج ٥ ص ٤٢).

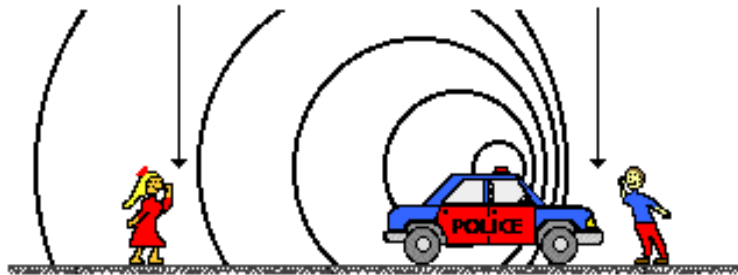


الفترات الأربعة إذن التي تم فيها خلق الأرض وُصفت بالأيام؛ ليس على ظاهر اللفظ وإنما من باب التمثيل، وبمقياس الأيام تساوت مرحلة تكوين الأرض الأولية مع مرحلة التكميل بنشأة الغلاف الصخري فوقها وأوليات الأحياء، فالنبا: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾؛ تصريح بالانتهاء، والنبا: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ نُحْآنٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَفَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾؛ ١٤ فصلت: ١٢ و١١؛ تعبير تصويري عن إطاعة الجمادات للتقدير المُسبق كأنها عُقلاء مُكلفين تعريضاً بالإنسان، ولا يصح إذن بعد نشأة الأحياء حمله على مرحلة خلق تالية؛ وقد انتهى خلق الأرض، وإنما يستقيم عودة جملة: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) على جملة: (خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ)، فتكون جملة: (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) اعتراض؛ وبيان باكتمال نشأة الأرض بغلافها الصخري والجوي في أربعة أيام، فيعني أن سماء الكون التي نشأت سابقاً: في يومين.

The Doppler Effect for a Moving Sound Source

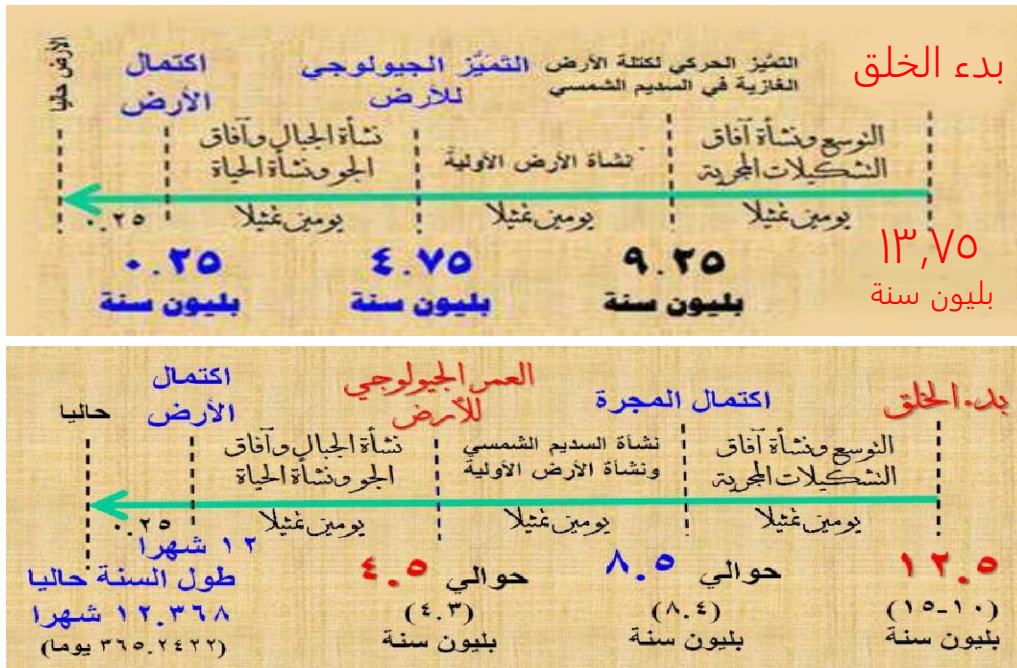
تأثير دوبلر لمصدر للصوت متحرك.

موجات صوتية Long Wavelength Low Frequency ذات تردد منخفض
موجات صوتية Small Wavelength High Frequency ذات تردد عالي

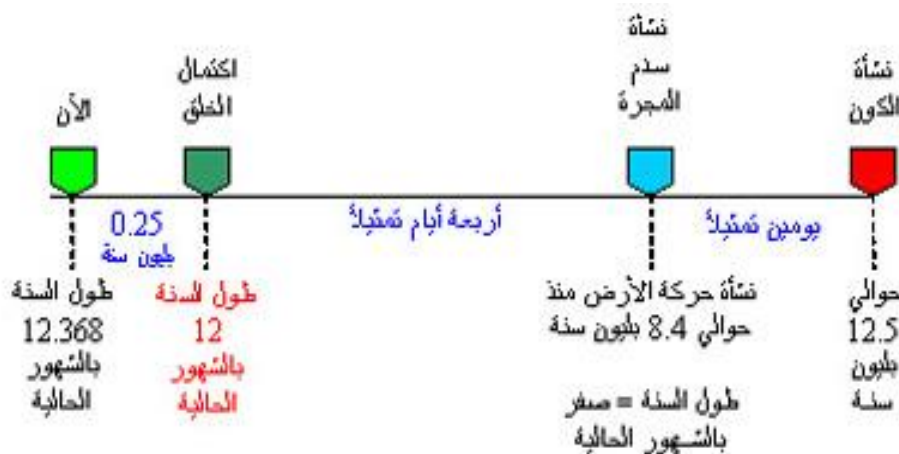


وعلمياً عندما يكون مصدر موجة صوتية أو ضوئية مُقترَباً؛ تتضاغط أمامه الموجات وبتزايد ترددها، بينما تتخلخل إذا كان مُبتعداً، وبرصد انحراف خطوط طيف المجرات العظمية للجانب الأحمر Red Shift اكتشف إدوين هابل Edwin Hubble عام ١٩٢٩ أنها تبدو في تباعد تتزايد سرعته مع البعد بمعدل ثابت؛ سُمِّي بثابت هابل Constant Hubble، ومع بلوغ سرعة التباعد قيمة سرعة الضوء القادم منها لا تُشاهد؛ ويتعيَّن حد الكون المُمكن الرِّصد، وبالتالي يُمكن تقدير عمر الكون وفق قانون هابل: عمر الكون = {سرعة الضوء × مليون} ثابت هابل، وباعتبار قيمة ثابت هابل تتراوح بين ٣٠ و٢٠ كم/ثانية؛ يكون عمر الكون حوالي: ١٢,٥ (١٠-١٥) بليون سنة.

وفي عام ٢٠٠١ نتيجة لتمايز طفيف بالخلفية الإشعاعية قَدَّر تشارليس بينيت Charles Bennett أن عمره: الكون: ١٣,٧٥ بليون سنة، وفي نفس العام اكتشف روجر كيريل Roger Cayrel وفريقه من عدة دول؛ عنصر مُشع معلوم نصف العمر في نجم قديم، فقدر أن عمر الكون على الأقل: ١٢,٥ بليون سنة؛ باعتبار أن عمر الكون لا يقل عن عمر أقدم مادة فيه، واستخدام العناصر المشعة أسلوب حديث واعد؛ يُبشر بدقة التقديرات.



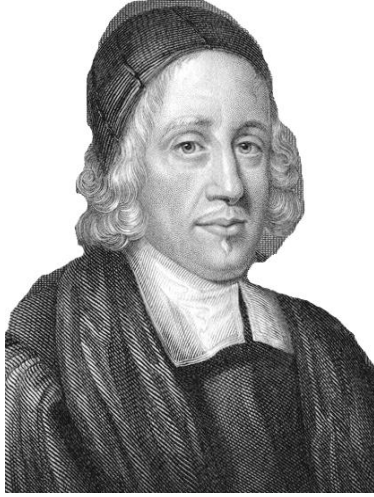
فإذا كان خلق الكون كله في ستة أيام تعبيراً بالتمثيل بأيام الأسبوع المعهودة عن تلك الأزمنة الهائلة فوق كل تصور قديم؛ فإن خلق الأرض بدون السطح الصخري والجوي قد وقع منذ حوالي: ٠,٢٥ بليون سنة؛ حين ارتفعت نسبة الأكسجين في الجو ونشأت أم القارات Pangea وبدأت تنقسم إلى القارات الحالية، ووقع أكبر هلاك جماعي للأحياء في تاريخ الأرض Permian-Triassic Extinction؛ وأن العمر الجيولوجي للأرض على أقصى تقدير: ٤,٧٥ (٥-٤,٥) بليون سنة، وعلى أقل تقدير: ٤,٣ (٤-٤,٦) بليون سنة، يكون بدء خلق الكون قد وقع على أقصى تقدير منذ: ١٣,٧٥ بليون سنة، وإذا أخذنا بالأحوط؛ تكون النشأة الكونية على أقل تقدير منذ: ١٢,٥ بليون سنة.



وإذا كان الزمان قد تطاول حتى أصبحت السنة الشمسية ٣٦٥,٢٤٢١٩ يوماً، أي ١٢,٣٦٨ بالشهور القمرية الحالية في: ٨,٤ بليون سنة، وكانت عند الاكتمال: ١٢ شهراً قمرياً لقوله تعالى: **﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾** ٩ التوبة: ٣٦، وبالاكتفاء بالقمرية بحذف النسب لمضاهاة الشمسية يكون الزمان قد استدار كهينته يوم خلق الله السماوات والأرض؛ كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، ونظير الستة أيام تمثيلاً؛ يتأكد أن عمر الكون على الأقل: ١٢,٥ (١٥-١٠) بليون سنة.

^{٢٠} انقراض العصر البرمي الترياسي المعروف باسم الموت العظيم هو انقراض جماعي وقع منذ حوالي ٢٥٠ مليون سنة، بين العصرين الجيولوجيين البرمي والترياسي، كان هذا الحدث أكبر انقراض جماعي شهده الأرض؛ قضى على نحو ٩٦٪ من كل أنواع الأحياء البحرية و ٧٠٪ من الفقاريات الأرضية (ويكيبيديا).

ومدة دورة الشمس حول مركز المجرة حوالي: ٢٥,٠ بليون سنة أرضية، وتسمى سنة كونية **Cosmic Year**، وبأكبر مقياس للزمن في عالمنا يكون عمر الكون على الأقل: ٥٠ سنة، ويقطع الضوء المسافة لطرف الكون المُمكن الرصد في مدة تماثل عمر الكون، وإذا اعتُبرت الأرض ساكنة وفق ما كان الناس يَعدُّونها **Geocentric Model** وحركة القمر المقياس؛ تكون سرعة الضوء: مسافة ألف سنة قمرية في يوم، وبيجاز: **(في يومٍ كان مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعْدُونَ)** ٣٢ السجدة: ٥، وتُقَطع أقصى مسافة في: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء؛ أي أن أكبر مسافة مُمكنة الرصد: ٥٠ سنة كونية بسرعة ألف سنة قمرية في يوم^{٢١}، وبيجاز: **(في يومٍ كان مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)** ٧٠ المعارج: ٤.



جون لايتفوت John Lightfoot
(١٦٠٢-١٦٧٥)



جيمس أوشر James Ussher
(١٦٥٦-١٥٨١)

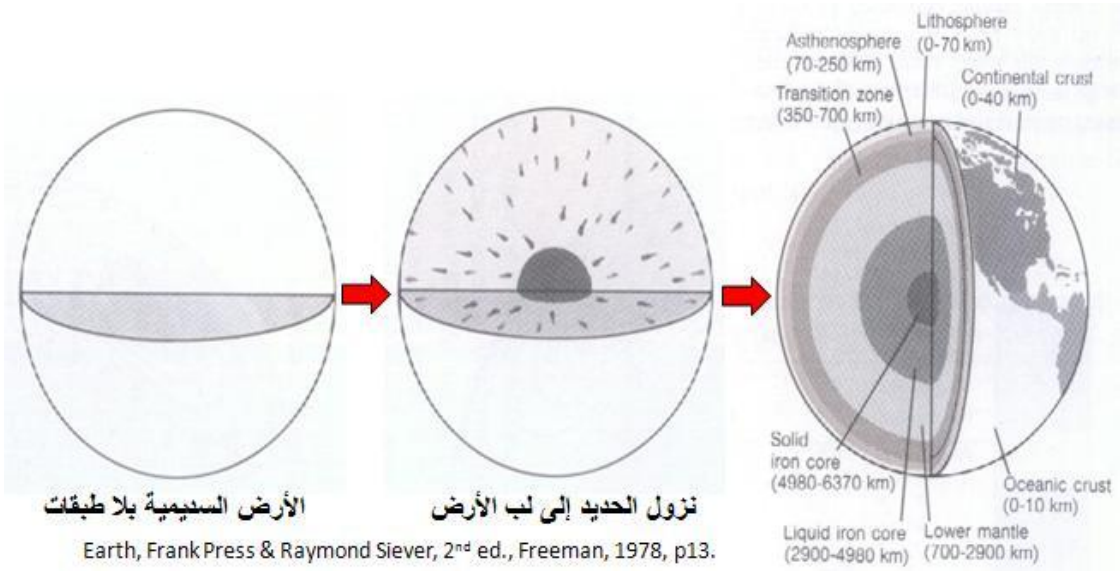
وفي عام ١٦٥٤ نشر جيمس أوشر James Ussher (١٥٨١-١٦٥٦) كبير أساقفة الكنيسة الأيرلندية استنتاجه من أسفار العهد القديم؛ أن بدء خلق العالم كان ليلة الأحد ٢٣ أكتوبر عام ٤٠٠٤ ق.م، بينما اختار القس جون لايتفوت John Lightfoot (١٦٠٢-١٦٧٥) عام ٣٩٢٩ ق.م؛ أي بعد نشأة حضارات مصر وبلاد ما بين النهرين بقرون^{٢٢}، ومرجع الخطأ حمل تعبير (سنة أيام) على ظاهر اللفظ لا التمثيل؛ وهو نفس الخطأ الفادح للآباء من قبل في حمل تعبير (ابن الله) على الظاهر لا التمثيل فحادوا عن مبدأ التوحيد، وهكذا أثبتت الأيام كم بَعْدَ الآباء والأتباع المُقلدين عن الحقيقة.

قال الرازي: "في ستة أيام إشارة إلى ستة أطوار..، المُراد من الأيام لا يُمكن أن يكون هو المفهوم في وضع اللغة؛ لأن اليوم عبارة عن زمان مُكث الشمس فوق الأرض من الطلوع إلى الغروب، وقبل السماوات لم يكن شمس ولا قمر، لكن اليوم يُطلق ويُراد به الوقت..، وقال بعض المفسرين المُراد من الآية الرد على اليهود؛ حيث قالوا بدأ الله تعالى خلق العالم يوم الأحد، وفرغ منه في ستة أيام آخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت..، فقال تعالى: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ)** ٥٠:ق:٣٨؛ ردًا عليهم.. أي ما تعبنا، وأما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة؛ فهو إما تحريف منهم، أو لم يعلموا تأويله، وذلك لأن الأحد والاثنتين أزمنة مُتميز بعضها عن بعض، فلو كان خلق السماوات ابتدئ يوم الأحد؛ لكان الزمان مُتحققا قبل الأجسام، والزمان لا ينفك عن الأجسام"^{٢٣}.

^{٢١} بحث منشور باسم: سرعة الضوء في القرآن الكريم؛ تناول دراسة للآيات الكريمة: ٢٢الحج:٤٧، ٣٢السجدة:٥، ٧٠المعارج:٤.

^{٢٢} English Wikipedia; the international Encyclopedia: Annals of the Old Testament deduced from the first origins of the world

^{٢٣} التفسير الكبير للرازي (ج٢٨ص١٥٨).



ونشأة الأرض؛ كما يرويها الجيولوجيان فرانك بريس frank Press وريموند سييفر Raymond Siever في كتابهما: الأرض Earth؛ أنها كانت كتلة متجانسة بلا طبقات، ومع خروج المواد الأخف والماء خاصة باتجاه السطح ونزول المواد الأثقل؛ خاصة الحديد ليكون معظم لب الأرض، نشأت الطبقات^{٢٤}، وقد أورد القرآن الكريم قصة الخلق بنفس الترتيب كما ترويها حقائق علوم الأرض في الوقت الحاضر، وجاء وصف تكون الماء كأحد الفصول خلال مراحل مقدرة الترتيب، قال تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ النازعات: ٣٠-٣٢، وفي المقابل نزل الحديد عند التكوين نحو اللب لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ الحديد: ٢٥.



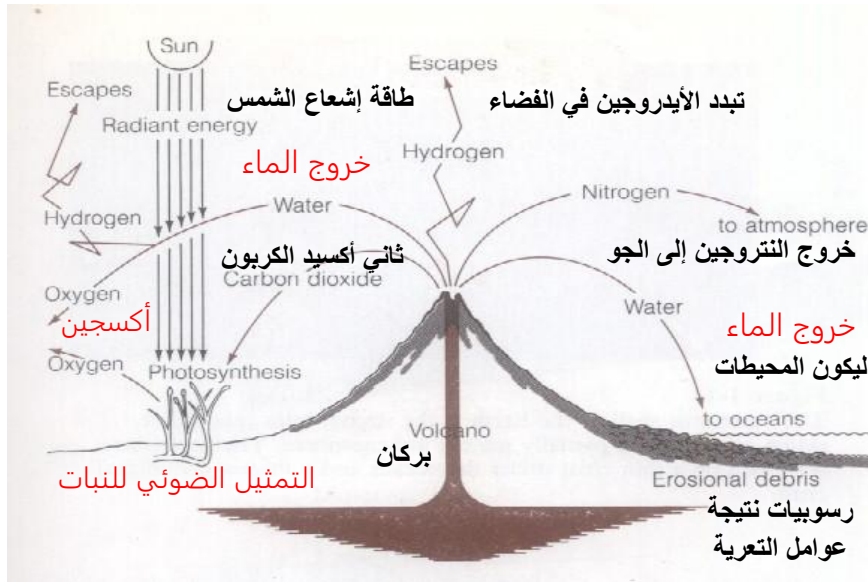
وقوله تعالى ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ تعبير بالمأل، ويعني أن كل ما يُنسب إليها اليوم من نباتات المراعي التي تتغذى عليها المواشي وكل ما يُنسب إليها من ماء بكل أشكاله قد خرج أساساً منها عند بدء تشكلها، والمعلوم حالياً بالفعل أن الكوكب كان ملتهبا قبل أن تكون سطحه وأن بخار الماء الخارج مع الانبعاثات البركانية النشطة كان عالقاً بالجو الأولي ولم يتمكن من النزول حتى برد السطح فاستمر هطول الأمطار حقبة حتى تكونت كافة أشكال المياه، ومهدّ الماء لنشأة النبات الذي أطلق الأوكسجين بالجو وقلل من ثاني أكسيد الكربون فمكّن لنشأة الحيوان والإنسان من بعد، وتلاحظ في التعبير ترتيباً لمرحل تكون الحياة ابتداءً من الماء تلتها نباتات المراعي الخضراء كمثال لكافة أشكال النبات.



قال ابن عاشور: "المرعى.. مصدر.. أُطلق على المفعول؛ كالخلق بمعنى المخلوق، أي أخرج منها ما يُرعى، والرعي حقيقته تناول الماشية الكلأ..، فالإقتصار على المرعى اكتفاء عن ذكر ما تُخرجه الأرض من الثمار والحبوب؛ لأن ذكر المرعى يدل على لطف الله بالعجموات، فيعرف منه أن اللطف بالإنسان أحرى..، والقريظة على الاكتفاء قوله تعالى بعده: (متاعا لكم ولأنعامكم)^{٢٥}، وقال سيد قطب: "إرساء الجبال وهو نتيجة لاستقرار سطح الأرض ووصول درجة حرارته (المرتفعة ابتداءً) إلى هذا الاعتدال؛ الذي يسمح بالحياة، والله تعالى أخرج من الأرض ماءها، (يعني) سواء ما يتفجر من الينابيع أو ما ينزل من السماء فهو أصلاً من مائها الذي تبخر ثم نزل في صورة مطر، وأخرج من الأرض مرعاها؛ وهو النبات الذي يأكله الناس والأنعام وتعيش عليه الأحياء"^{٢٦}.

٢٥ التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ (ج ١ / ص ٤٧١٧).

٢٦ في ظلال القرآن لسيد قطب المتوفى سنة ١٣٨٦هـ (ج ٧ / ص ٤٤٦).



خروج الماء والغازات من البراكين الأولية العملاقة وتكون المحيطات والغلاف الجوي والرسوبيات والتمهيد للتمثيل الضوئي للنباتات.

Earth, frank Press & Raymond Siever, 2nd ed., Freeman, 1978, p 17.



وأصل المياه على سطح الأرض هو ما خرج من باطنها من مواد خفيفة عند نشأتها وخلال الثورات البركانية العنيفة عند نشأة سطحها^{٢٧}، قال الجيولوجي د. زغول النجار: "الشواهد العديدة التي تجمعت لدي العلماء تؤكد أن كل ماء الأرض قد أُخرج أصلاً من جوفها، ولا يزال خروجه مُستمرًا من داخل الأرض عبر الثورات البركانية..، (و) بتحليل الأبخرة المتصاعدة من فوهات البراكين في أماكن مختلفة من الأرض اتضح أن بخار الماء تصل نسبته إلي أكثر من ٧٠% من مجموع تلك الغازات والأبخرة البركانية، بينما يتكون الباقي من أخلط مُختلفة من الغازات..، (و) الصحارة الصخرية (إذن).. هي مصدر رئيسي للمياه الأرضية..، وقد ثبت أنها المصدر الرئيسي للغلاف المائي والغازي للأرض..، فقد أصبح من المقبول عند علماء الأرض أن النشاط البركاني الذي صاحب تكوين الغلاف الصخري للأرض في بدء خلقها هو المسئول عن تكون كل من غلافها المائي والغازي"^{٢٨}.

^{٢٧} Earth, frank Press & Raymond Siever, 2nd ed., Freeman, 1978, p 17.

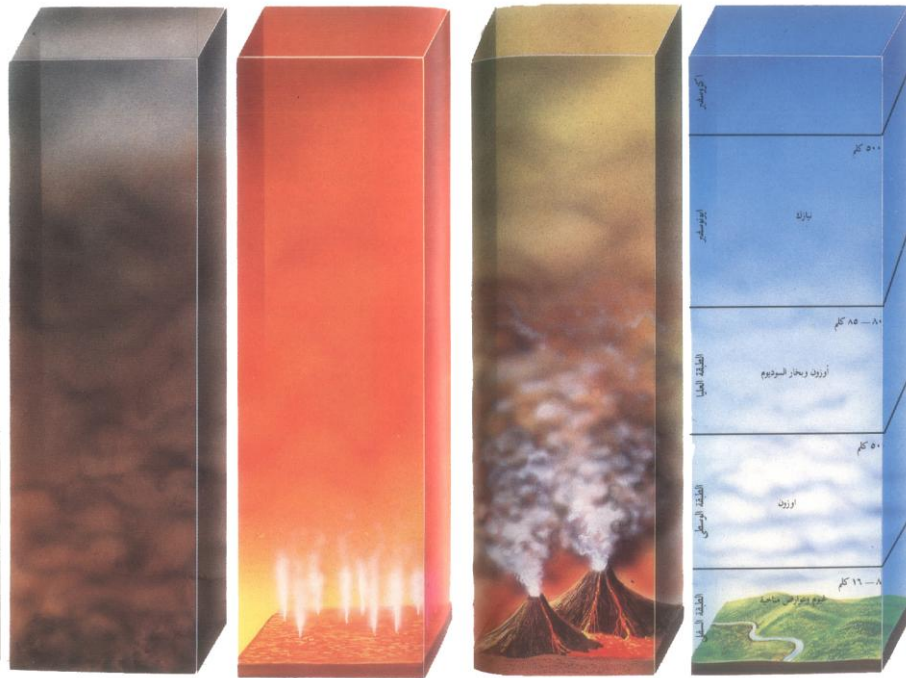
^{٢٨} الموقع الرسمي للدكتور زغول النجار؛ والنص نقله عبد الرحمن بن محمد القماش في تفسيره: الخاوي في تفسير القرآن الكريم، دولة الإمارات العربية المتحدة (٢٧٠ / ١٨٠٠).



وإذا تقرر بالنص الصريح أن أصل ماء الأرض قد خرج أساساً منها؛ فلا يرد إشكالا على بيان نزول الماء من السماء في جملة آيات، لأنه يتعلق بوصف مرحلة تالية في تاريخ الأرض تتفق تماماً مع المعرفة الحديثة بأن الماء الذي خرج منها لم يتمكن من النزول مطراً حتى هبطت درجة حرارة السطح وتميزت معالمه؛ خاصة أن حمل تعبير (السماء) على الغلاف الجوي يستقيم وفق القرانين، وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ البقرة: ٢٢؛ قال ابن عاشور: "(والسمااء بناء) يكون تلك الكرة الهوائية واقية للناس من إضرار طبقات فوقها..، فالكرة الهوائية جعلت فوق هذا العالم فهي كالبناء له.. فشبهت به..، والمُرَاد بالسمااء هنا إطلاقها العرفي عند العرب وهو ما يبدو للناظر كالقبة الزرقاء، وهو كرة الهواء المحيط بالأرض؛ كما هو المُرَاد في قوله تعالى: (أو كصيب من السماء)، وهذا هو المُرَاد الغالب..، وأما وجه شبه السماء بالبناء فهو أن الكرة الهوائية جعلها الله حائزاً..، فهي كالبناء فيما يُراد له البناء؛ وهو الوقاية من الأضرار النازلة..، وهذا كقوله تعالى: (وجعلنا السماء سقفا محفوظا)"^{٢٩}، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٩٩؛ قال: "(من) في قوله تعالى (من السماء) ابتدائية؛ لأن ماء المطر يتكون في طبقات الجو.. عند تصاعد البخار الأرضي إليها؛ فيصير البخار كثيفاً وهو السحاب، ثم يستحيل ماء، فالسمااء (هنا).. الجو حيث تتكون الأمطار"^{٣٠}، وهكذا يعبر النظم عن الحقائق الخفية زمن التنزيل بعبارة لا تلفت عن غرض ولا يفوت مضمونها عند اكتشاف الحقائق.

٢٩ التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ (ج ١ / ص ١٩٣).

٣٠ التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ (ج ١ / ص ١٣٧٢).



نشأ الغلاف الجوي من الدخان المنبعث من البراكين العملاقة للأرض الأولية أثناء تكون غلافها الصخري (الموسوعة العالمية العربية المصورة مجلد ١٨ ص ٣٢٧٥).

البيان التصويري: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيَّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اانْتَبِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا نِيطَانِيطَانِيعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحَفِظْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١: ٩-١٢؛ يكشف تاريخ الأرض، والقصد مباشرة بعد تكوين الأرض بغير السطح الصخري؛ إلى تشكيل السماء المحلية يعكس التقدير بقصد منذ البدء لتهيئة الظروف لنشأة الوعي في الأرض، ويعنى التهاب الأرض وإصدارها دخاناً نشأ منه الجو خلال نشأة السطح.



وقد ذهب الأعلام إلى أن السماء التي تشكلت طبقات بعد تشكيل الأرض ليست كل ما يعلوها من الكون، وإنما جو الأرض كان دخاناً خرج منها عند تكونها فتشكل طبقات؛ يعني في آخر يومين من الأربعة، وجملة: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيَّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾؛ اعتراضية أفادت أن خلق الأرض قد تم في أربعة أيام من الستة أيام لخلق الكون، في نفس فترة تكوين طبقات الجو؛ الأرض إذن كانت نارية ملتهبة، وما زال باطنها يُمور في دوامات حمم هائلة تحمينا منها قشرة رقيقة: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ٦٧ الملك: ١٦، ويكشف النبأ أن السماء اللاحقة بالأرض والتابعة لها في الحركة كانت دخاناً؛ بعد نشأة كل الطبقات الداخلية للأرض، والقريينة: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيَّ مِنْ فَوْقِهَا﴾؛ وهو صريح في أن السطح الصخري قد تشكل بعد خلق الأرض الأولية، ويعني أنها كانت كتلة نارية ملتهبة؛ بقريينة ما أصدرته من دخان كون السماء المحلية الأولية؛ قبل تشكلها إلى سماوات.



والإتيان لازمه الحركة؛ وهي تعود على الأرض والجو المحيط، والتعبير (أَتَيْنَا) و(أَتَيْنَا) يعني ملازمة الحركة أي معاً، وتوجيه الأمر لهما معاً يفيد عدم التلازم إلى أن صدر هذا الأمر؛ مما يتفق مع المعرفة حديثاً بتبدد الجو الأولي خلفها، ففي التمثيل أن هذا الدخان كان يتبدد ولا يرافق الأرض في سيرها حتى استقر وتحول لطبقات وأصبح كالسقف المحفوظ من التبدد وليس حافظاً فحسب؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ﴾ ٢١ الأنبياء: ٣٢.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ١٧ الإسراء: ١٢؛ وجه التفسير بأن القمر كان جسماً مُلتهباً كالشمس أثناء تكوينه معها؛ يؤيد التهاب الأرض أثناء فترة تكوين الشمس والقمر، قال القرطبي: "﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾.. لَمْ يَقُلْ: فَمَحَوْنَا اللَّيْلَ؛ فَلَمَّا أَضَافَ الْآيَةَ إِلَى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْآيَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ لِهَما لا هـما..، و﴿فَمَحَوْنَا﴾ مَعْنَاهُ طَمَسْنَا..، (أي أن) الْقَمَرَ.. كَانَ كَالشَّمْسِ..، (يعني) هُوَ يَوْمَئِذٍ شَمْسٌ (عند تكوينه)؛ فَطَمَسَ ضَوْؤَهُ وَبَقِيَ نُورُهُ..، و﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي جَعَلْنَا شَمْسَهُ مُضِيئَةً لِلْأَبْصَارِ" ٣١، وقال القنوجي: "﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ أي طمسنا نورها، وقد كان القمر كالشمس..، و﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي مبصراً فيها..، وقيل آية النهار الشمس، كما أن آية الليل القمر، فمعنى و﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾، أي جعلنا شمس النهار مُضِيئَةً تُبْصِرُ بِهَا الْأَشْيَاءَ رُؤْيَةً بَيْنَهُ" ٣٢، وقال أحمد حطبية: "﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ الإسراء: ١٢، فالله جعل الليل آية؛ وجعل النهار آية؛ وجعل آية النهار الشمس ترونها؛ وجعل آية الليل القمر، قال: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ الإسراء: ١٢؛ يعني محاً من القمر نوره، وعلماء الفلك يقولون: كان القمر يوماً من الأيام مُشْتَعِلاً مُتَوَهِّجاً كَالشَّمْسِ، قالوا ذلك الآن؛ وقالها قبلهم ابن عباس قبل ألف وأربعمائة سنة، قال ذلك مفسراً هذه الآية؛ يقول: كان القمر مُضِيئاً كَالشَّمْسِ، فمحا الله عز وجل النور الذي كان فيه، قال الله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾؛ بينة مُضِيئَةً يراها كل ذي عينين" ٣٣.

وفي النبأ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ ٢ البقرة: ٢٩؛ تأكيد لتاريخ كوكب الأرض، وما كان يتبعه من سماء محلية أولية؛ تشكلت إلى طبقات بعد تشكل جميع طبقاته الداخلية، ويتضمن الدلالة على أن الطبقة السطحية المُتَبَقِيَّة لِيكْتَمِلَ كوكب الأرض؛ قد تشكلت في نفس فترة تشكيل طبقات الجو.

وفي بيان تاريخ الأرض والجو تمهيداً لنشأة الإنسان وتأكيداً لسبق التقدير وبالغ الاقتدار على البعث للحساب؛ يبلغ التمثيل الإخبار عن الأرض والسماء التي كانت دخاناً كأنهما عاقلين يستجيبا طائعين، تعريضاً بالمكابرين عن البراهين،

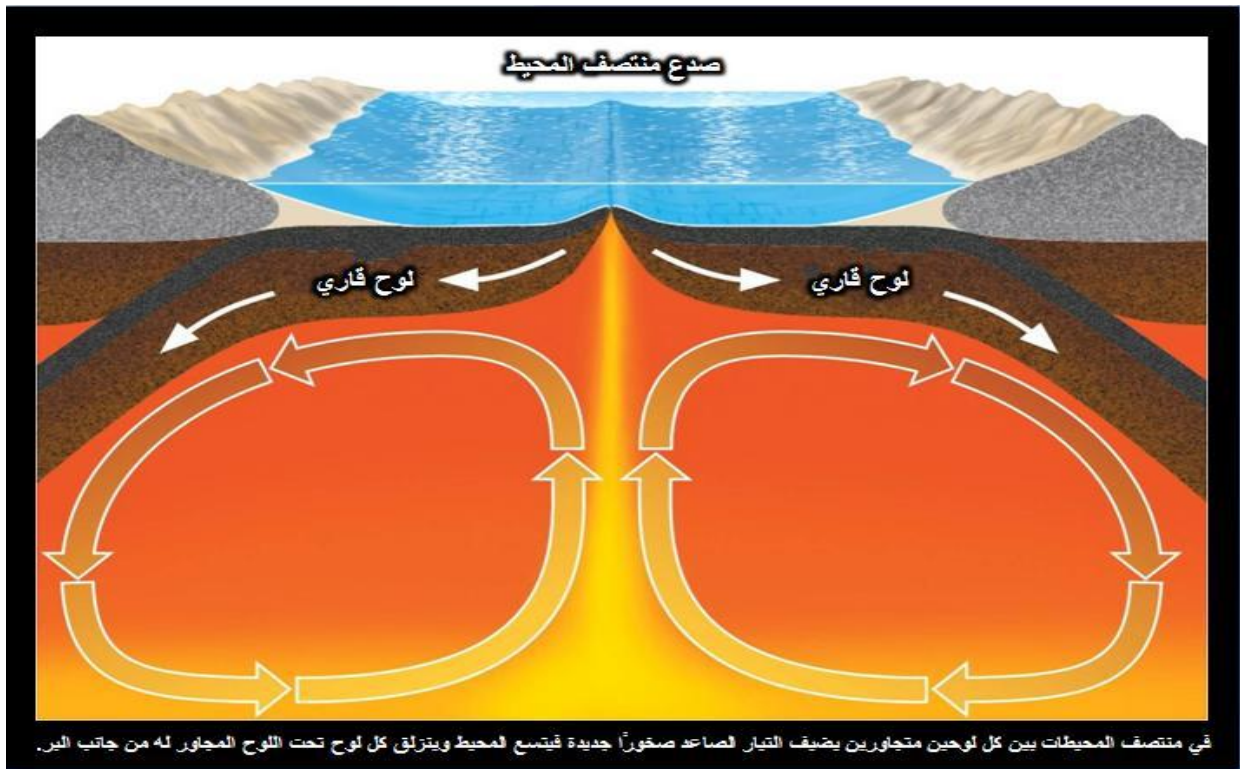
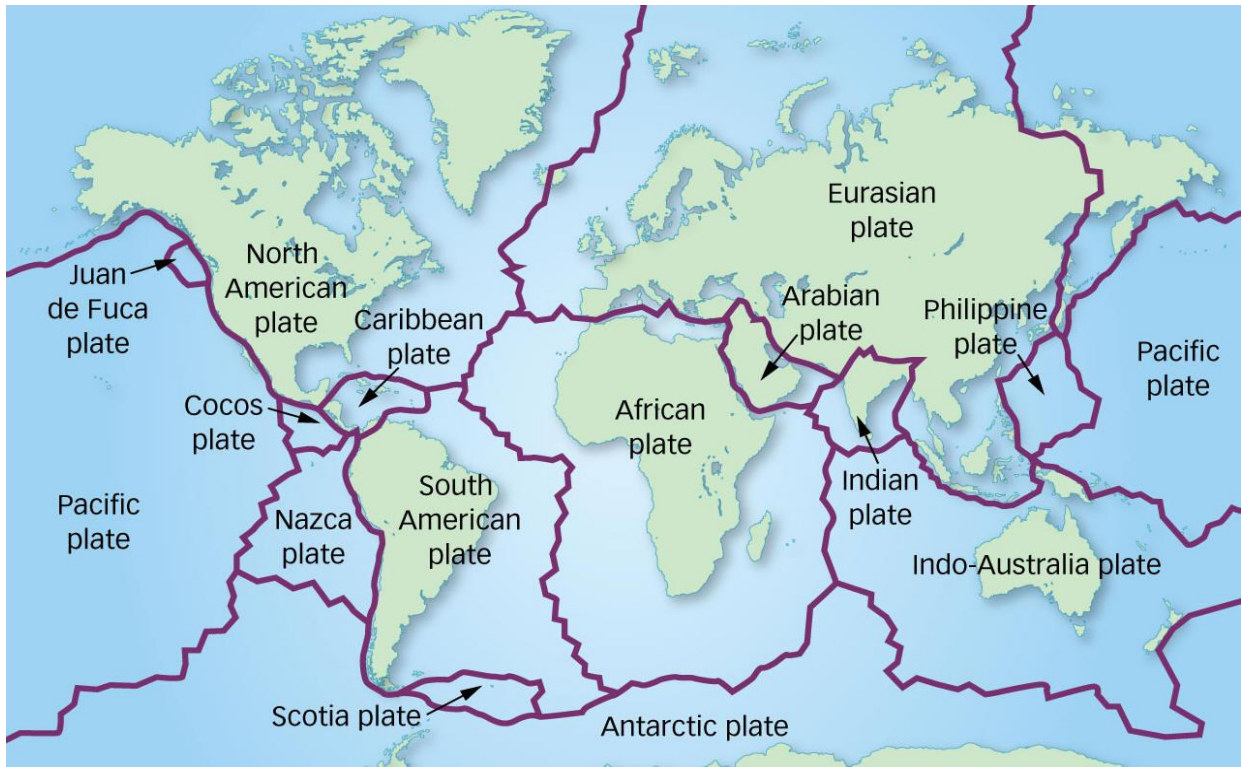
^{٣١} أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (٢٢٧١١٠).

^{٣٢} أبو الطيب محمد صديق خان القنوجي؛ فتح البيان في مقاصد القرآن، راجعه عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية صيدا بيروت؛ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م (٣٦٢١٧).

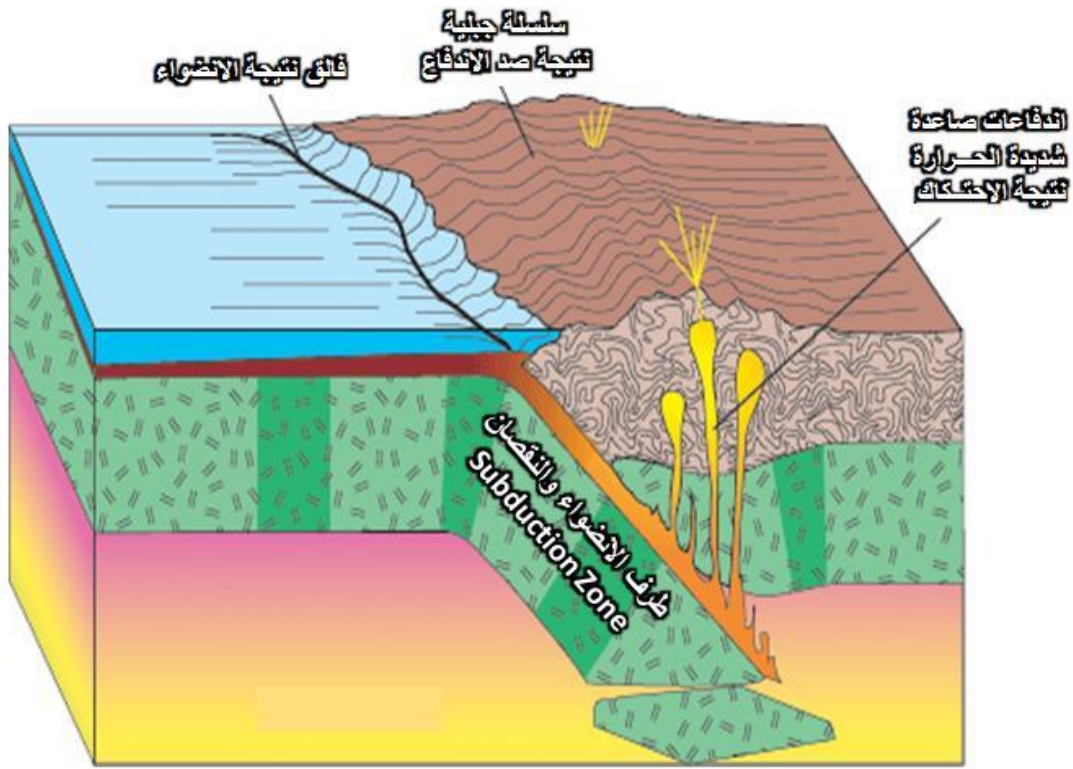
^{٣٣} أحمد حطبية؛ تفسير أحمد حطبية، دروس مفرغة نشرها موقع الشبكة الإسلامية، ورقم الجزء هو رقم الدرس، والصفحات ترقم موقع المكتبة الشاملة (٣١١١٩).

وفي التفسير الوسيط: "قوله تعالى: {أَنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا}.. تمثيل لتحتّم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما عن ذلك لا إثبات الطوع والكره لهما، وقيل..: {أَتَيْنَا طَائِعِينَ}.. إنما هذا كناية عن الطاعة والإذعان والامتثال؛ وهو الظاهر، وقال سبحانه: {طَائِعِينَ} بجمع المذكر العاقل، ولم يقل: طائعتين على اللفظ ولا طائعات على المعنى..؛ وذلك من صفات من يعقل أجراهما مجرى العقلاء في التعبير عنهما، ومثله قوله تعالى..: {رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ}؛ مع أن الضمير في {رَأَيْتُهُمْ} ضمير جماعة العقلاء، وقد عاد إلى الشمس والقمر والكواكب وهي غير عاقلة، {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} أي: ما تقدم من خلق الأرض.. وخلق السماء.. هو صنع العظيم القدرة الكامل العلم، وما أحسن هذه الخاتمة وهذا التذييل لتلك الآيات فهذه الأعمال العظيمة لا تحصل ولا تتم إلا بقدرة كاملة وعلم مُحيط"^{٣٤}.

^{٣٤} مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٨ / ٦٨٠).

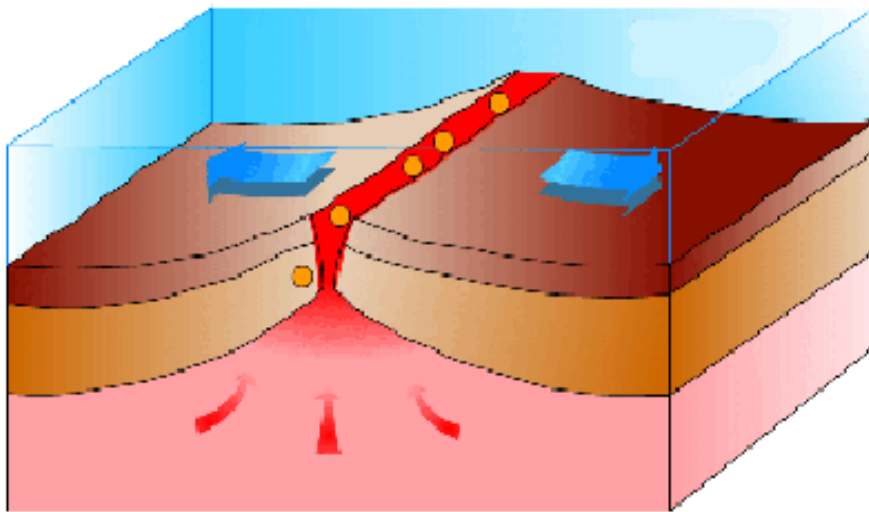


وقد اكتشف علماء الجيولوجيا حديثاً أن القشرة الأرضية الصلبة مقسمة بشبكة من الصدوع العميقة إلى ألواح قارية Plate tectonics بهيئة قطع متجاورات تتسم بالصلابة وتطفو كالسفن الرواسي فوق محيط من دوامات الصهارة Magma ، وتستقيم تلك الحقيقة مع دلالة جملة نصوص في القرآن الكريم يستقيم حملها على وصف السطح الصخري للكوكب بلفظ (الأرض)، وقد احتار المفسرون في تنزيلها على الواقع المجهول قبل عصر الكشوف العلمية واتضح الحقائق؛ مثل قوله تعالى: (وَالأَرْضُ ذاتِ الصَّدْعِ) الطارق: ١٢، وقوله تعالى: (وَفِي الأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَاوِرَاتٍ) الرعد: ٤؛ خاصة أن لفظ (قطع) لا يستقيم أن يُوصف به إلا شيء صلب، وهو جيولوجيا ما يُميز سطح الكوكب عن الدثار Mantle اللين دونه، وتصعد الحمم Lava من بين الألواح القارية في قيعان البحار العظمى لتضيف مادة جديدة إلى كل لوحين متجاورين، وبزيادة طرف ينقص اللوح من الطرف الآخر بالانثناء تحت اللوح المُجاور، لذا فالأرض الصلبة التي تحملنا فوق دوامات الحمم تنقص من أطرافها على الدوام.

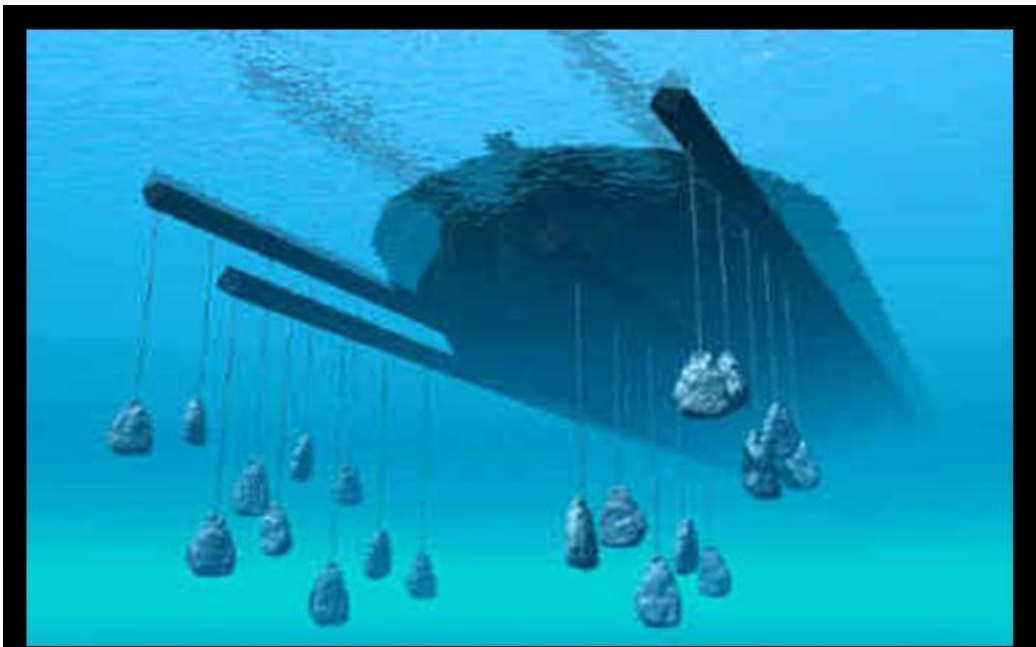


اللوح ناحية البحر ينضوي طرفه المقابل تحت لوح آخر وينقص من حين لآخر؛ مما قد يولد زلازل وبراكين بمنطقة الأضواء.

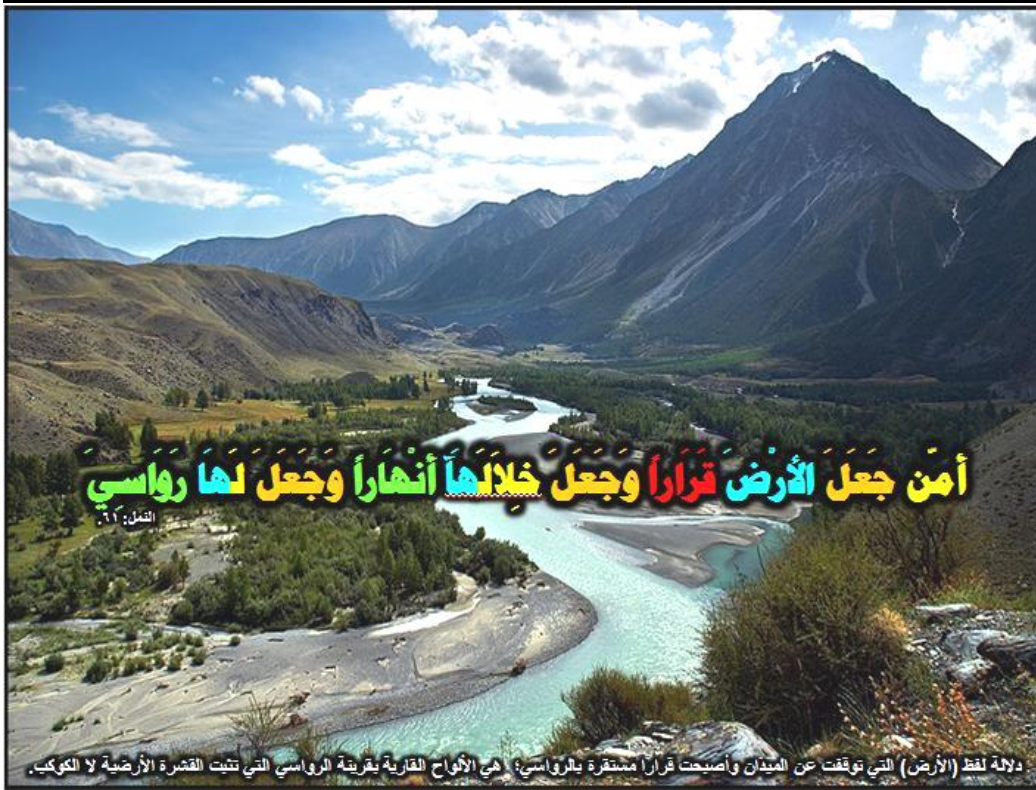
Seafloor spreading at a divergent margin



وفي قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) الرعد: ١٤، وقوله تعالى: (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) الأنبياء: ٤٤؛ يتسع المضمون ليشمل تلك الحقيقة العلمية التي لم يدركها بشر إلا منذ عقود يسيرة برهانا على الوحي، ولفظ (الأرض) هنا يصدق على السطح الصخري ولا يستقيم صرفه لمعنى الكوكب لأن الشكل الكروي ممتد ولا طرف له، ولورود لفظ (أَطْرَافِهَا) بالجمع، فهو يتضمن بيان تجزئة السطح الصخري إلى قطع متجاورات تفصلها صدوع؛ وتحركها دوامات صهير الباطن التي تمور دوما بصريح قوله تعالى: (أَأَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) الملك: ١٦، ولفظ (الأرض) هنا يصدق بالمثل على السطح الصخري ولا يعني الكوكب لأن الموران والدوران واقع دون ما يدل عليه لفظ (الأرض)، ويكشف لك الموران ضمنا التهاب الباطن إلى حد إسالة الصخور، وتحرك دواماتها كاتون مسجور تتأجج نيرانه تحت السطح الصخري وقيعان البحار كنار تحت إناء، وهو نفس المضمون في قوله تعالى: (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) الطور: ٦.

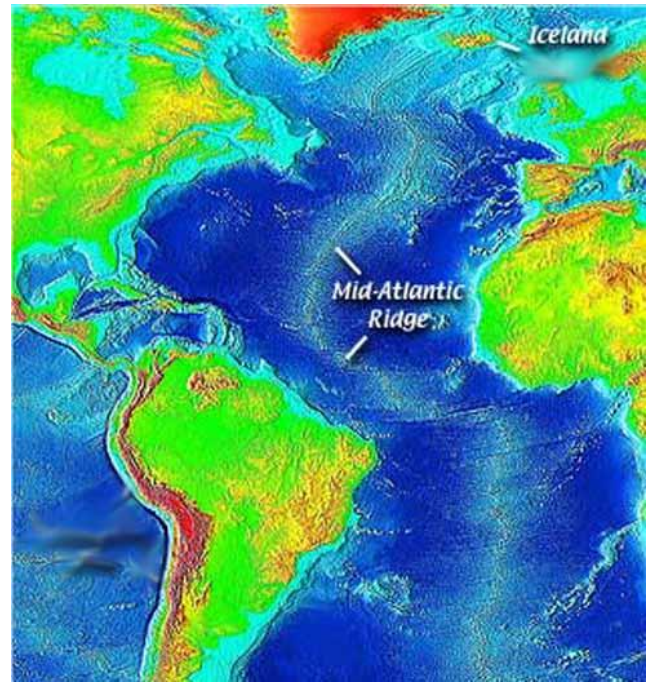
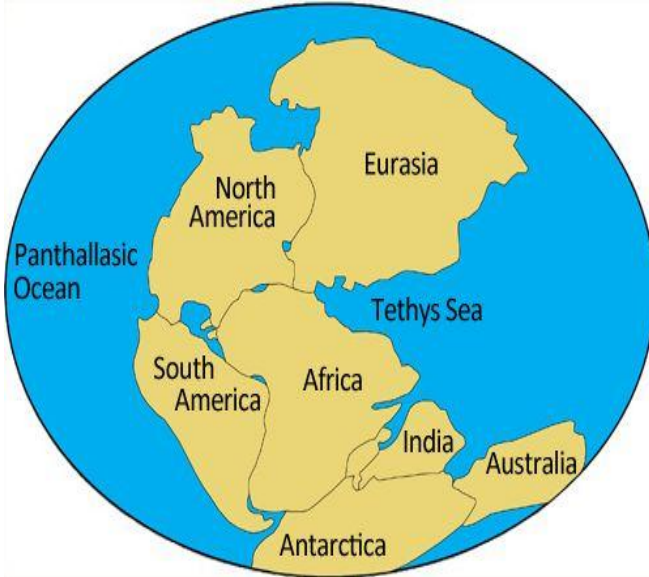


استخدمت قديماً رواسي حجرية لتثبيت السفن الطافية فوق تيارات المحيط، فما أنشبهها بجنود الجبال لتثبيت الألواح القارية الطافية فلا تتأرجح وتميد.



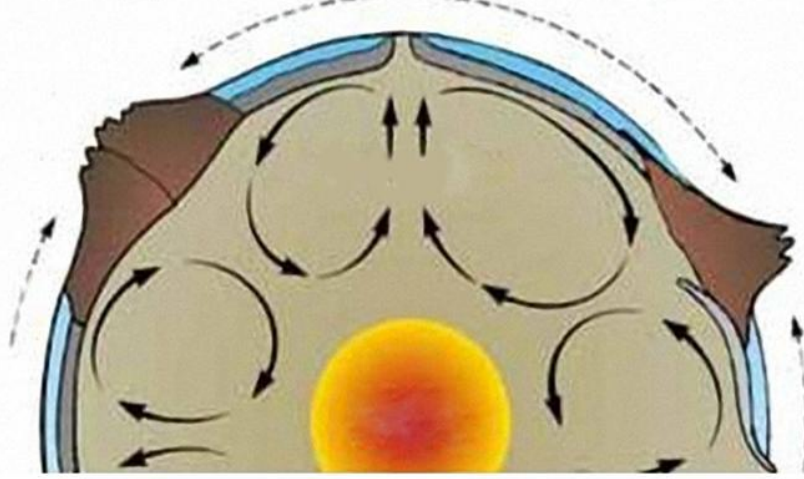
دلالة لفظ (الأرض) التي توقفت عن السدان وأصبحت قراراً مستقرة بالرواسي؛ هي الألواح القارية بقرعة الرواسي التي تثبت القشرة الأرضية لا الكوكب.

والقطع الصلبة للسطح الصخري والطافية فوق المحيط الأقرب إلى الليونة والأكثر كثافة؛ أشبه ما تكون إذن بالسفن ذات الرواسي، وهو نفس التمثيل في جملة نصوص يكشف كل منها جانباً من تاريخ سطح الكوكب، وتمثل منظومة دلالية واحدة كأجزاء ساعة يؤدي كل منها دوراً مستقلاً، وبغير وحدة المصدر والمعرفة بخفايا التكوين يستحيل تضامنها في وحدة موضوعية بلا تعارض رغم تعدد الأوجه وتفرق المواضع وطول فترة التنزيل؛ قال تعالى: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا) فصلت: ١٠، وقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ) الرعد: ٣، ويستقيم حمل الأرض التي مدت وجعل فيها رواسي على السطح الصخري؛ ومثله جملة نصوص؛ منها: (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) النحل: ١٥، (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ) الأنبياء: ٣١، (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَاراً) غافر: ٦٤، (أَمِنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ) النمل: ٦١، ويمضي بك تنوع التعبير ليكشف لك تصوير الجبال بالأوتاد سر تثبيت الألواح القارية في قوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَاداً. وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً) النبأ: ٧٦، وهكذا إن شئت فهم المراد في موضع؛ فينصحك الأعلام المحققين باستيفاء كل المواضع، لنتضح لك الدلالة بقولهم: (القرآن يفسر بعضه بعضاً)؛ استناداً إلى وحدة المضمون في الكتاب العزيز، بخلاف التعارض والتضاد في كل ما ينسب إلى الوحي سواه؛ كشاهد لا تُرد شهادته على التحريف.



وقد اكتسبت نظرية انزياح القارات **Continental drift** تأييداً علمياً واسعاً منذ أن أعلنها ألفريد فيجنر **Alfred Wegener** في عام ١٩١٢، ومضمونها أن القارات قد تولدت عن انقسام قارة أم **Pangea** وسط محيط واحد **Panthalassa** بصدع عظيم منذ حوالي ٢٥٠ مليون سنة، ثم امتدت اليابسة وتوزعت إلى قارات مازالت شابة تنزاح ببطء، ومع انقسامها المتوالي تحول الصدع الأصلي إلى سلسلة جبال منتصف الأطلنطي **Mid-Atlantic Ridge** التي يبلغ طولها حوالي ١٦ ألف كم ويمتد معظمها بالقاع تحت سطح المحيط، ونادراً ما تبرز فوقه بهيئة جزر بركانية، ومنتصف الأطلنطي (الأوقيانوس) مازال إلى اليوم يمثل منطقة نشطة بركانياً تطرح حمماً سوداء مُلتهبة قد تبلغ درجة حرارتها ألف درجة مئوية، وظاهرة انزياح القارات المُميزة بالجبال تحت تأثير تيارات الصحارة دونها يمكن تمثيلها بالمرور البطيء للسحاب تحت تأثير تيارات الهواء دونه، فسواء السحاب أو جبال القارات، كليهما يتصف ببطء الحركة نسبياً؛ تحت تأثير تيارات حمل صاعدة وأخرى دافعة أفقياً.

وَتَرَى الْجِبَالَ تَجْسِبُهَا جَمْدَةٌ وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ



ولن تفوتك الدلالة الصريحة إذن في قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَجْسِبُهَا جَمْدَةٌ وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ) النمل: ٨٨، فالجبال تتحرك فوق الدثار بحركة الألواح القارية نتيجة التيارات الباطنية للحمم؛ كما يتحرك السحاب في الجو نتيجة حركة تيارات الرياح، أرايت كيف أن المعرفة بحصاد الثورة العلمية المحمومة اليوم خير معين لإدراك الدلالات العلمية المدخرة ذخيرة للقادمين في تعبير الكتاب الكريم! ومهما حاول طاعن افتعال الحيل واصطناع الذرائع لصرف صريح الدلالة على حقيقة علمية واحدة مثل تأجج قيعان البحار بالنيران فلن يناله سوى خزي تجاوز الإنصاف، فقبل عصر الكشوف العلمية يستحيل أن يدرك بشر بوجود الصدوع العميقة منتصف المحيطات Mid-Oceanic Rifts لأنها لم تعرف إلا من خلال نظرية الألواح القارية أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن الماضي فحسب، وهكذا تفرد كل وصف ببيان وجه أو أكده بتثنية النبأ، إنه إذن إصرار مُذهل؛ خاصة في تناول مسائل علمية يفتقدها كل ما يُنسب للوحي سوى القرآن الكريم، وهو تحدي يجعل المترصد مترددا في الطعن؛ إذا كان ضليعا بأساليب البيان مُلما بحقائق العلم، وأما من غلب دافعه للكيد حذرته؛ فلا يستحق ملام، وكما ترى قد تميز الكتاب العزيز بوحدة المضمون بلا أدنى تعارض وتضاد رغم التوسع والتنوع، وتلك هي نفس سمة تعدد القراءات المُتواترة؛ مما يُرجح لك أنها ظاهرة توقيفية لا عارضة.

وفي قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) الكهف: ٨٦؛ يدل ذلك السياق على أن ذي القرنين الفاتح للعالم القديم قد بلغ أقصى الغرب، وأوقفته نهاية اليابسة عن استمرار الغزو، فأطل على المحيط الأطلنطي حيث عاين الشمس تغرب فيه مثل كل مُراقب آخر بالعين، والإيجاز يقتضي أن يكون التقدير: {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا (رَأَى الْعَيْنَ) تَغْرُبُ فِي (مَحِيطِ ذِي) عَيْنٍ حَمِئَةٍ}، فاكتفى التعبير بدلالة السياق على المُحيط وأضاف وصفاً لم يدركه قبل عصر الكشوف ذو القرنين ولا سواه، ويتسم المُحيط الأطلنطي بالفعل بوجود سلسلة جبلية Ridge مُتصلة ومُرتفعة الجانبين؛ أشبه ما تكون بجفنين يحيطان بعين تطرح بدلا عن الدموع حمم ملتهبة سوداء، فهي من وجه سوداء حمئة؛ أشبه ما تكون بالطين الأسود، ومن وجه آخر حامية أشبه ما تكون بالجمر المُتوقد رفیق الساهر في البادية، و(حمئة) و(حامية) قراءتان مُعتمدتان مُتكاملتان لا يتناقضان؛ جمعنا وصفين لظاهرة خفية لا يعلم بها قبل عصر العلم بشر، ووافق اختيارها أنها موضع الصدع الأصلي الأول والأعظم.

قال الألوسي: "وجدها أي الشمس (تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَمْنَةٍ)؛ أي ذات حمأة وهي الطين الأسود..، وقرأ عبد الله وطلحة بن عبيد الله وعمرو بن العاص وابنه عبد الله وابن عمر ومعاوية والحسن وزيد بن علي وابن عامر وحمزة والكسائي (حَامِيَةً).. أي حارة"^{٣٥}، وقال الطبري: "وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا وَجْهٌ صَحِيحٌ وَمَعْنَى مَفْهُومٌ، وَكِلَا وَجْهَيْهِ غَيْرُ مُفْسِدٍ أَحَدُهُمَا صَاحِبُهُ"^{٣٦}.

وقال الرازي: "وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا تَنَافِي بَيْنَ الْحَمْنَةِ وَالْحَامِيَةِ؛ فَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ الْعَيْنُ جَامِعَةً لِلْوَصْفَيْنِ جَمِيعًا..، (وقد ثبت بالدليل أَنَّ الْأَرْضَ كُرَّةٌ وَأَنَّ السَّمَاءَ مُحِيطَةٌ بِهَا؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ الشَّمْسَ فِي الْفَلَكَ (الفضاء)، وَأَيْضًا قَالَ: وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا؛ وَمَعْلُومٌ أَنَّ جُلُوسَ قَوْمٍ فِي قُرْبِ الشَّمْسِ غَيْرُ مَوْجُودٍ، وَأَيْضًا الشَّمْسُ أَكْبَرُ مِنَ الْأَرْضِ بِمَرَاتٍ كَثِيرَةٍ فَكَيْفَ يُعْقَلُ دُخُولُهَا فِي عَيْنٍ مِنْ عُيُونِ الْأَرْضِ، إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ..: تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: (تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَمْنَةٍ).. أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ لَمَّا بَلَغَ مَوْضِعَهَا فِي الْمَغْرِبِ وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْعِمَارَاتِ وَجَدَ الشَّمْسَ.. كَأَنَّهَا تَغِيبُ فِي الْبَحْرِ..؛ وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ تَغِيبُ وَرَاءَ الْبَحْرِ..، لِلْجَانِبِ الْعَرَبِيِّ مِنَ الْأَرْضِ مَسَاكِينَ يُحِيطُ الْبَحْرُ بِهَا فَالِنَّاظِرُ إِلَى الشَّمْسِ يَتَخَيَّلُ كَأَنَّهَا تَغِيبُ فِي تِلْكَ الْبَحَارِ..، فَقَوْلُهُ: تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَمْنَةٍ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْجَانِبَ الْعَرَبِيَّ مِنَ الْأَرْضِ قَدْ أَحَاطَ بِهِ الْبَحْرُ"^{٣٧}.

وقال القرطبي: "لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى الشَّمْسِ مَغْرِبًا وَمَشْرِقًا حَتَّى وَصَلَ إِلَى جَرْمِهَا وَمَسَهَا، لِأَنَّهَا تَدُورُ.. مِنْ غَيْرِ أَنْ تَلْتَصِقَ بِالْأَرْضِ، وَهِيَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَدْخُلَ فِي عَيْنٍ مِنْ عُيُونِ الْأَرْضِ، بَلْ هِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْأَرْضِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى آخِرِ الْعِمَارَةِ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ وَمِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ، فَوَجَدَهَا فِي رَأْيِ الْعَيْنِ (تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَمْنَةٍ)، كَمَا أَنَا نَشَاهِدُهَا فِي الْأَرْضِ الْمَلْسَاءِ كَأَنَّهَا تَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ، وَلِهَذَا قَالَ: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) ١٨ الكهف: ٩٠، وَلَمْ يَرِدْ أَنَّهَا تَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ تُمَاسَّهُمْ وَتَلَاصِقَهُمْ؛ بَلْ أَرَادَ أَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ تَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ: وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْعَيْنُ مِنَ الْبَحْرِ"^{٣٨}.

واحتتم الألوسي أن العين إخبار عن الله تعالى بمعلم دفين يُميز المحيط الغربي (الأطلنطي) بقوله: "المُرَادُ بِالْعَيْنِ الحمنة.. عين في البحر"^{٣٩}، وعلى هذا الوجه يكون في التعبير إيجاز حذف وفق مُصطلح البلاغيين اكتفاء بشهرة معلوم لكل ناظر بالعين؛ وهو مشهد غروب الشمس في المحيط، وجاء التعبير عن المحيط بلازمه الذي لم تُشاهده عين من قبل؛ وهو العيون المُتصلة الفُوهات في القاع موضع الصدع الأول والأعظم الذي مازال شابا يطرح الحمم الحمنة والحامية في ذات الوقت، ولا يأبى السياق التقدير: (وجدها رأي العين تغرب في محيط ذي عين حمنة)، فإن غابت الفطنة وضل التأويل وانعدم العلم بخفايا التكوين وساء فهم براهين الوحي؛ فأى ذنب إذن للقرآن الكريم!

^{٣٥} شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ - (١٨/٣٥٣).

^{٣٦} محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١١٥/٣٧٧).

^{٣٧} فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ - (١٢١/٤٩٦).

^{٣٨} أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١١/٤٩١).

^{٣٩} شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ - (١٨/٣٥٤).



والتصور السائد حالياً حسب ما تُفِيده دراسة المُتَحجرات وقياس العمر بالمواد المشعة؛ أن عمر الأرض مديد يقدر ببلايين السنين، ولم يكن حينذاك للحياة وجود حتى توفر الماء على سطح الأرض؛ لأن الكرة الأرضية كانت مُلتهبة والنشاط البركاني على أشده، وكان الدخان الكثيف يُحيط بالأرض؛ والتهاب السطح الأولي يمنع الأبخرة الحارة المُنبعثَة من الأرض من التكاثف، ومع تبرد السطح هطلت الأمطار بغزارة لعصور فتكونت المحيطات والأنهار وتهدأت بيئة صالحة لنشأة أنواع الحياة بالتدرّج، وقد ظهرت أول الخلايا الحية المعقدة منذ ٢ بليون عام؛ فيما ظهرت أول الكائنات المُركبة منذ بليون عام، ومنذ ٥٠٠ مليون عام ظهرت الأسماك، ثم ظهرت أولى النباتات منذ ٤٧٥ مليون عام، وأول البرمائيات منذ ٣٦٠ مليون عام، ثم ظهرت الزواحف والديناصورات منذ ٣٠٠ مليون عام، ثم الثدييات منذ ٢٠٠ مليون عام، ثم الطيور والديناصورات المجنحة منذ ١٥٠ مليون عام،



وقبل ٦٥ مليون عام انقرضت الديناصورات فجأة بالإضافة إلى حوالي ٩٠% من المخلوقات الحية على اليابسة وفي البحار، وقد فسرت الظاهرة بصدام نيزكي كبير أدى إلى دخان غطى جو الكوكب لفترة كافية لمنع النبات من التمثيل الضوئي، فتأثرت الكائنات الحية؛ خاصة الأكبر حجما والأكثر طلبا للهواء الصالح للحياة، وقد دعم هذه الفرضية اكتشاف طبقة رسوبية في مناطق مختلفة من سطح الأرض عمرها حوالي ٦٥ مليون سنة كذلك؛ وتحتوي على مادة خاصة تسمى بالإيريديوم Iridium، وهي مادة مميزة للرجوم النيزكية، قد ترجح هلاك الكثير من الكائنات الحية على سطح الأرض سابقاً؛ خاصة الديناصورات بكارثة الدخان الكوكبية تلك، وإمكان هلاكها لاحقاً كذلك.

وكلمة ديناصور Dinosaur تسمية حديثة استخدمت للمرة الأولى عام ١٨٤١ لوحش زاحف منقرض ساد الأرض كانت فيها كثيفة الغابات، واكتشفت أول حفريات Fossils عام ١٦٧٧، والكلمة مشتقة من اللاتينية؛ وتعني سحلية مهولة Terrible Lizard؛ فلا يتوقع إذن وجودها في أي كتاب أقدم تاريخاً، والمذكور في المدونات: (هُوَ ذَا **بِهَيْمُوثُ الَّذِي صَنَعْتُهُ مَعَكَ يَأْكُلُ الْعُثْبَ مِثْلَ الْبَقْرِ**) سفر أيوب: ١٥ | ٤١ Job؛ هذا دليل على أن كتبة الأسفار متأخرين كثيراً عن زمن موسى عليه السلام؛ حيث لم يعرفوا نظيراً لكلمة بهيموث Behemoth، فنقلوها حرفياً كما هي اليوم في الترجمات، وأرجعها معجم الكتاب المقدس Easton's Bible Dictionary إلى كلمة مصرية قديمة معهودة عند قدماء المصريين الذين عاش أسلاف اليهود بينهم أرقاء قبل أن يحررهم النبي موسى عليه السلام.



وكلمة بهيموث مُشتقة من بهيمة؛ وتصدق على جاموس الماء **Water-Ox** أو فرس النهر **Hippopotamus**، وكان يعيش في النيل ويُطلق عليه حالياً اسم: سيد قشطة، فتمحك بعضهم وحملها على الديناصور الذي باد قبل نشأة الإنسان بملايين السنين، مُتجاهلاً ما تُصرح به العبارة ذاتها من أن الله تعالى قد صنعه مع الإنسان، وهو من الزواحف؛ وبعضه من آكلات اللحوم لا يأكل العشب مثلما يفعل البقر؛ بينما اليهائم من الثدييات، فتوهم أنه بهذا التدليس السافر قد غافل المُحققين، وحقق سبقاً للأسفار على القرآن الكريم؛ لأنه بزعمه لم يذكر حفريات الديناصور وسبب هلاكه!^{٤٠}.

وتمحك البعض أيضاً فحملوا كلمة لويathan على الديناصور مثل كلمة بهيموث؛ مع أن سياق كلمة لويathan لا يعني سوى الحوت؛ كما في العبارة: (هَذَا الْبَحْرُ الْكَبِيرُ الْوَاسِعُ الْأَطْرَافِ. هُنَاكَ دَبَابَاتٌ بِلَا عَدَدٍ. صِغَارُ حَيَوَانَ مَعَ كِبَارِهِ. هُنَاكَ تَجْرِي السُّفُنُ. لَوِيَاثَانٌ هَذَا خَلَقْتَهُ لِيَلْعَبَ فِيهِ) سفر المزمير: ١١٠٤، ٢٥ و ٢٦ Psalms، والعبارة: "أَنْصَطَادُ لَوِيَاثَانَ بِشِصٍ" سفر أيوب: ١٤١ | ١ Job^{٤١}، ونظيرتها كلمة تنين **Dragon** وهو حيوان أسطوري، وقد استبدلت في بعض المواضع فعلاً في بعض الترجمات الإنجليزية بكلمة حوت **Whale**؛ بينما ظلت في العربية تنين، ويعترف المُعاصرون باقتباس كاتب السفر تلك الكلمة وأمثالها من الثقافة المصرية القديمة: "بهيموث ولويathan ربما يكونان وصف لفرس النهر (سيد قشطه) وللتمساح..، قد يكون كاتب السفر استفاد من أوصاف شعرية مصرية لحيوانين مُرعبين لهما هذه الأسماء، وبحسب الثقافة المصرية وجد الكاتب هذه المُوصفات فاقتبسها..، ولقد تُرجمت كلمة لويathan بالتنين كثيراً..، والترجمات المُختلفة للكلمة؛ راجعة غالباً لأن المُترجمين لم يعرفوا بالضبط معناها"^{٤٢}.

٤٠ <http://www.angelfire.com/mi/dinosaurs/behemoth.html>: "As far as I know, no other religious books mention dinosaurs or dragons. This makes it even more convincing to me

الترجمة: "على حد علمي لا توجد كتب دينية أخرى ذكرت الديناصورات والتنانين، وهذا يجعلني بحق أكثر قناعة أن الكتاب المقدس وحده هو كلام الله الموحى به".

٤١ ترجمة سميت وفانديك؛ نشر كنيسة الأنبا تكلا هيمنوت الحبشي بالإسكندرية مصر.

٤٢ موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمنوت الحبشي بالإسكندرية مصر.

وهكذا استنفذ البعض الحيل مُتلمسا ما يتفق قبل النبوة الخاتمة مع سنن الوجود وقصة الخلق كما رواها العلم؛ بينما ظل الكتاب الوحيد الجامع بلا اضطراب الباقي عند التحقيق في مكان الصدارة حقاً هو القرآن الكريم، فلم يكن لبشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وجود ليشارك في خلق نفسه في رحم الأم؛ ناهيك عن خلق العالم على طول فصول قصة تهباً فيها كل شيء قبل نشأته، والمضمون إذن أن عبادة الله تعالى وحده هي الغرض البعيد منذ البدء.

وفي الأسفار: "في ذخائر الحكمة: أمثال" يشوع بن سيراخ: ١١ ٣١ (Joshua ben Sirach)، "لتعطي الجهال ذكاءً والشاب معرفةً وتدبُّراً. يسمعها الحكيم فيزداد علماً والفهم يكتسب تدبيراً. لفهم المثل" الأمثال: ١١ ٤-٦، Proverbs، وضرب عيسى عليه السلام ليهود عصره الأمثال: "وابتدا يقول للشعب هذا المثل: إنسان غرس كرماً وسلمه إلى كرامين وسافر زماناً طويلاً. وفي الوقت أرسل إلى الكرامين عبدا لكي يعطوه من ثمر الكرم فجلده الكرامون وأرسلوه فارغاً. فعاد وأرسل عبداً آخر فجلدوا ذلك أيضاً وأهانوه وأرسلوه فارغاً. ثم عاد فأرسل ثالثاً فجرحوه هذا أيضاً وأخرجوه. فقال صاحب الكرم ماذا أفعل؟ أرسل ابني الحبيب لعلهم إذا رأوه يهابون! فلما رآه الكرامون تأمروا فيما بينهم قائلين هذا هو الوارث هلموا نقتله لكي يصير لنا الميراث. فأخرجوه خارج الكرم وقتلوه، فماذا يفعل بهم صاحب الكرم؟: يأتي ويهلك هؤلاء الكرامين ويعطي الكرم لآخرين، فلما سمعوا قالوا: حاشا! فنظر إليهم وقال: إذا ما هو هذا المكتوب؛ الحجر الذي رفضه البناعون هو قد صار رأس الزاوية. كل من يسقط على ذلك الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه" إنجيل لوقا: ١٢ ٩-١٨ Luke.

وهل يليق اتهام المسيح عليه السلام بالشركة مع الله تعالى؛ وقد تنبأ بالنبى بعده على درب التوحيد: "متى جاء المعزّي.. روح الحق.. فهو يشهد لي" يوحنا: ١١ ٢٦ John، وقال: "إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، أما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق..؛ ذلك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" يوحنا: ١٦ ١٣ و١٤ John، وتؤيده نبوءة مُعاصِرُهُ ابن خالته يحيى (يوحنا المعمدان) الذي عمّده بنهر الأردن بمثل آخر ضربه لهم: "الآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجر؛ فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار، أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي؛ هو أقوى مني؛ الذي لست أهلك إلا أن أحمل جذاءة" متى: ١٣ ١٠ و١١ Matthew، ولم يجد الرسول عيسى عليه السلام إلا أن يفسر لهم النبوءة صريحاً: "إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره؛ ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه" متى: ١٢ ٣ و٤٤ Matthew، ولا يبعد هذا عن قول العليّ القدير: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ) المائدة: ٤٨.



والخلاصة أن السجل الأحفوري مثل كتاب يكشف صفحات من تاريخ الأرض لمن يُمكنه ترجمة معاني السطور، وبالمثل تعرض الصفحات الجيولوجية كتابًا يتحدث عن فصول قصة تكوين الأرض، وترشدك الصفحات الفلكية من كل جهات الأرض لكل من يملك ترجمة السطور تاريخ الكون منذ الابتداء حيث كان كل شيء موحدًا قبل تميز المجرات والنجوم والتوابع فيما يُشبهه الحساء، ويكفي للدلالة على وحدانية الخالق وقدرته التوصل أن لهذا الكون ابتداء.

واكتشاف أدوين هابل بأن المجرات العظمى تبدو في ابتعاد يُحتم أن للكون ابتداء، فحاول من يميلون للإلحاد التشويش تهربًا من مبدأ الخلق بفرضيات يجمعها وهم أزلية المادة تحت مُسمى الحالة الثابتة *Steady state*، ولو كان صحيحًا أن الكون ذو بداية أكبر كثافة لأصدر في كل اتجاه أشعة تدل على درجة حرارة هائلة لا يبلغها اليوم قلب أي نجم مهما بلغت ضخامته؛ نتيجة لانضغاط المادة في حيز ضئيل، ولذا جاءت الضربة القاصمة لتلك الفرضيات قبل نهاية القرن الماضي فتوارت إلى الأبد عندما اكتشف أرنو بنزياس Arno Penzias وروبرت ويلسون Robert Wilson تلك الأشعة عام ١٩٦٤ بغير قصد، وتحتمت البداية بلا مناسف، واضطر ستيفن هاوكنج Stephen Hawking رغم ميله للإلحاد للقول: "إن كونا ذا بداية يستحيل أن يكون بلا خالق"، فوحدة البداية تقطع بوجوده ووحدانيته تعالى ناهيك عن التصميم المُتقن والنظام الثابت الذي أقر هاوكنج أنه عماد تاريخ العلم التجريبي أجمع، وبالمثل قال ألفريد هويل: "تقول نظرية الانفجار الكبير بأن الكون نشأ نتيجة انفجار كبير، ونحن نعلم أن كل انفجار يُبعثر المادة دون نظام، ولكن الانفجار الكبير عمل العكس، إذ عمل على جمع المادة وفق تصميم وقدرة فريدة لتشكيل المجرات والنجوم والتوابع ونشأة الإنسان على هذه الأرض"، والنتيجة الحتمية التي توصل إليها العالم الأمريكي جورج كرنشتاين قد أعلنها بقوله: "كلما دققنا في الأدلة التي يُقدمها الكون المفتوح الصفحات أمامنا؛ واجهتنا على الدوام الحقيقة نفسها، وهي أن هناك قدرة إلهية خلف بدء الخلق وكافة الأحداث"، والمُدْهش أن علامات بدء الخلق التي تُعلنها رسالة الكون إلى أهل النظر قد أمر القرآن الكريم بالبحث عنها في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ العنكبوت: ٢٠.



قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ

ما هو الإلحاد؟

هو الايمان بأنه كان هناك لا شيء، ولا شيء حدث
للاشيء، وبعد ذلك فجاءة انفجر اللاشيء هكذا بدون
سبب وخلق كل شيء، ومن ثم مجموعة من الاشياء
ترتبت بطريقة سحرية بدون أي سبب، فخلقت أول خلية
هكذا لتتحول بعد ذلك الى ديناصورات.

**أيها الملحد: أنت مطالب بمراجعة إيمانك
وإلا فأنت متهم بأن إيمانك إيمان أعمى**



قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال المراغي: **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** ٢٩ العنكبوت: ٢٠؛ أي سيروا في الأرض وشاهدوا السموات وما فيها من الكواكب النيرة؛ ثوابتها وسياراتها، والأرض وما فيها من جبال ومهاد وبراري وقفار وأشجار وثمار وأنهار وبحار، فكل ذلك شاهد على حدوثها في أنفسها وعلى جود صانعها الذي يقول للشيء (كن فيكون)، أو ليس من فعل هذا بقادر على أن ينشئه نشأة أخرى، ويوجده مرة ثانية؛ وهو القادر على كل شيء؟، وشبيهه بالآية قوله في الآية الأخرى: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾** ٤١ فصلت: ٥٣ و٥٤، ولما أقام الدليل على الإعادة رتب عليها ما سيكون بعدها فقال: **﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ﴾** أي يعذب من يشاء منكم ومن غيركم في الدنيا والآخرة بعدله في حكمه بحسب سننه في خلقه، ويرحم من يشاء بفضلته ورحمته، فهو الحاكم المتصرف الذي يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد، لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، **﴿وَالِيهِ تَقْلِبُونَ﴾** أي وإليه تردون بعد موتكم والمراد أنه إن تأخر ذلك عنكم فلا تظنوا أنه قد فات، فإن إليه إيابكم، وعليه حسابكم، وعنده يدخر ثوابكم وعقابكم^{٤٤}.

وفي تفسير مجمع البحوث: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾**: المراد من الرؤية هنا: العلم، أي: أولم يعلموا علماً يشبه المشاهدة بالبصر، **﴿يُبْدِئُ الْخَلْقَ﴾**: يوجده ابتداءً من مادة ومن غير مادة على غير مثال، **﴿يُعِيدُهُ﴾**: يحييه بعد موته وتحلل أجزائه، بل وتلاشيها..، **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾**: كلام مستأنف مسوق للإنكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دلالة، والمعنى: أغفلوا وجهلوا ولم يعلموا علماً تؤكد الرؤية وتؤيده المشاهدة كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداءً من مادة ومن غير مادة على غير مثال سابق، وكل ما في هذا الكون يوحي بذلك ويفرض العلم به ولا ينكره إلا مكابر معاند، ثم الله سبحانه وتعالى يعيد خلقه بالبعث بعد فناءه؛ لأن القادر على خلقه ابتداءً لا يعجزه إعادة خلقه كما تقرر هذا في قوله: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾** الروم: ٢٧، **﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾**: أي؛ إن أمر إعادة الخلق بعد الفناء يسير على الله سهل لا يفتقر إلى شيء أصلاً، وإنما يقول الله تعالى له: **﴿كُلٌّ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**: أنكرت الآيات السابقة على الخلق غفلتهم وتعطيلهم العقل بعدم تدبرهم في قدرة الله تعالى الواضحة في بدء الخلق؛ تدبرا يصل بهم إلى اليقين بقدرته على البعث وإعادة الخلق، وهذه الآية تأمرهم بالسير في الأرض لينظروا فيها كيفية بدء الخلق الدالة على قدرته تعالى على النشأة الآخرة..، **﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾**: أي؛ ثم الله الذي أنشأ النشأة الأولى قادر أن يعيد خلقهم في الآخرة مثل النشأة الأولى التي.. عاينوا آثارها وأطوارها، والتعبير عن الإعادة بالنشأة الآخرة يشعر بأن النشأتين شأن واحد من شئون الله تعالى من حيث إن كلا منهما إخراج من العدم إلى الوجود، لا فرق بينهما إلا بالأولية والآخرة، وإظهار اسم الله في قوله تعالى: **﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾** مع إضماره في قوله سبحانه: **﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾** لإبراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الإعادة، كما أن ترتيب النظر على السير في الأرض مؤذن بتتبع أحوال أصناف الخلق في أقطارها، ومما ينبغي الالتفات إليه في هذه القضية ما يتعاقب من النبات والثمار فيكون في كل سنة على مثل ما كان عليه في السنة السابقة، فهذا مما يستدل به على صحة البعث كما أشار إليه العلامة أبو السعود، ونزيد عليه: أن الأمر كذلك في مختلف أنواع الحيوانات والطيور والأسماك، وقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**: تذييل لتحقيق ما قبله؛ لأن من علم قدرة الله تعالى على جميع الأشياء لا يتصور أن يعجز عن إعادة الخلق بعد فنائهم^{٤٥}.

^{٤٤} أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م (١٢٧/٢٠).

^{٤٥} مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٧/١٨٤٠).

وقال القاسمي: " **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ**) ٢٩ العنكبوت: ٢٠ و ٢١..: (**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**) أي كيف خلقهم ابتداءً؛ على أطوار مختلفة وطباع متغايرة وأخلاق شتى، فإن ترتيب النظر على السير في الأرض، مؤذن يتبع أحوال أصناف الخلق الفاطنين في أقطارها، (**ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ**) أي الخلق الآخر، (**إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ**) أي بعد النشأة الثانية، وهم المنكرون لها، (**وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ**) وهم المؤمنون بها، (**وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ. وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**) أي بالتواري في الأرض، ولا بالتحصن في السماء التي هي أفصح منها؛ لو استطعتم الرقي فيها..، (**وَمَا لَكُمْ مَن دُونِ اللَّهِ مَن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**) أي يدفع عنكم ما يراد بكم "٤٧.

وقال ابن عاشور: " **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) ٢٩ العنكبوت: ٢٠؛ اعْتِرَاضٌ اِنْتِقَالِيٌّ مِنَ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ تَرْكِ الْإِسْتِدْلَالِ بِمَا هُوَ بِمَرَأَى مِنْهُمْ؛ إِلَى إِرْشَادِهِمْ لِلْإِسْتِدْلَالِ بِمَا هُوَ بَعِيدٌ عَنْهُمْ مِنْ أَحْوَالِ إِيجَادِ الْمَخْلُوقَاتِ وَتَعَاقُبِ الْأُمَمِ وَخَلْفِ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ، فَإِنَّ تَعَوُّدَ النَّاسِ بِمَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَصْرِفُ عَقُولَهُمْ عَنِ التَّأَمُّلِ فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ دَلَائِلِ دَقَائِقِهَا عَلَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ، فَذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى السَّيْرِ فِي الْأَرْضِ لِيُشَاهِدُوا أَنَّ خَلْقَ اللَّهِ الْأَشْيَاءِ مِنْ عَدَمٍ؛ فَيُوقِنُوا أَنَّ إِعَادَتَهَا بَعْدَ زَوَالِهَا لَيْسَ بِأَعْجَبَ مِنْ ابْتِدَاءِ صُنْعِهَا، وَإِنَّمَا أَمَرَ بِالسَّيْرِ فِي الْأَرْضِ لِأَنَّ السَّيْرَ يُدْنِي إِلَى الرَّائِي مُشَاهَدَاتٍ جَمَّةً مِنْ مُخْتَلَفِ الْأَرْضِينَ بِجِبَالِهَا وَأَنْهَارِهَا وَمَحْوِيَّاتِهَا، وَيَمُرُّ بِهِ عَلَى مَنَازِلِ الْأُمَمِ حَاضِرِهَا وَبَائِدِهَا؛ فَيَرَى كَثِيرًا مِنْ أَشْيَاءٍ وَأَحْوَالٍ لَمْ يَعْتَدِ رُؤْيَا أَمْثَالِهَا، فَأَذَا شَاهَدَ ذَلِكَ جَالَ نَظْرَ فِكْرِهِ فِي تَكْوِينِهَا بَعْدَ الْعَدَمِ جَوْلَانًا لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ لَهُ بِبَالٍ جِنْمًا كَانَ يُشَاهِدُ أَمْثَالَ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي دِيَارِ قَوْمِهِ، لِأَنَّهُ لَمَّا نَشَأَ فِيهَا مِنْ زَمَنِ الطُّفُولَةِ فَمَا بَعْدَهُ قَبْلَ حُدُوثِ التَّفَكِيرِ فِي عَقْلِهِ اعْتَادَ أَنْ يَمُرَّ بِبَصَرِهِ عَلَيْهَا دُونَ اسْتِنْتِاجِ مِنْ دَلَائِلِهَا؛ حَتَّى إِذَا شَاهَدَ أَمْثَالَهَا مِمَّا كَانَ غَائِبًا عَنْ بَصَرِهِ جَالَتْ فِي نَفْسِهِ فِكْرَةُ الْإِسْتِدْلَالِ، فَالسَّيْرُ فِي الْأَرْضِ وَسَبِيلَةٌ جَامِعَةٌ لِمُخْتَلَفِ الدَّلَائِلِ فَلِذَلِكَ كَانَ الْأَمْرُ بِهِ لِهَذَا الْعَرَضِ مِنْ جَوَامِعِ الْحِكْمَةِ، وَجِيءَ فِي جَانِبِ بَدْءِ الْخَلْقِ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي لِأَنَّ السَّيْرَ لَيْسَ لَهُ مِنْ قَرَارٍ فِي طَرِيقِهِ فَنَدَرَ أَنْ يَشْهَدَ حُدُوثَ بَدْءِ مَخْلُوقَاتٍ، وَلَكِنَّهُ يَشْهَدُ مَخْلُوقَاتٍ مَبْدُوعَةً مِنْ قَبْلِ فَيَفْطِنُ إِلَى أَنَّ الَّذِي أَوْجَدَهَا إِنَّمَا أَوْجَدَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِيجَادِ أَمْثَالِهَا، فَهُوَ بِالْأَحْرَى قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهَا بَعْدَ عَدَمِهَا، وَالْإِسْتِدْلَالُ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي مَضَتْ أَمَكُنُ لِأَنَّ لِلشَّيْءِ الْمُتَقَرَّرِ تَحَقُّقًا مَحْسُوسًا، وَجِيءَ فِي هَذَا الْإِسْتِدْلَالِ بِفِعْلِ النَّظَرِ لِأَنَّ إِدْرَاكَ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ حَاصِلٌ بِطَرِيقِ الْبَصَرِ، وَهُوَ بِفِعْلِ النَّظَرِ أَوْلَى وَأَشْهَرُ لِيَنْتَقِلَ مِنْهُ إِلَى إِدْرَاكَ أَنَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ، وَلِذَلِكَ أَعَقَبَ بِجُمْلَةٍ (**ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ**) فَهِيَ جُمْلَةٌ مُسْتَقَلَّةٌ..، وَإِظْهَارُ اسْمِ الْجَلَالَةِ بَعْدَ تَقَدُّمِ ضَمِيرِهِ فِي قَوْلِهِ (**كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**) وَكَانَ مُفْتَضًى الظَّاهِرُ أَنْ يَقُولَ: **ثُمَّ يَنْشِئُ**؛ قَالَ فِي الْكَشَافِ: لِأَنَّ الْكَلَامَ كَانَ وَاقِعًا فِي الْإِعَادَةِ فَلَمَّا قَرَّرَهُمْ فِي الْإِبْدَاءِ بِأَنَّهُ مِنَ اللَّهِ؛ احْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ الْإِعَادَةَ إِنْشَاءٌ مِثْلُ الْإِبْدَاءِ، فَالَّذِي لَمْ يُعْجِزْهُ الْإِبْدَاءُ فَهُوَ الَّذِي وَجِبَ أَنْ لَا تُعْجِزَهُ الْإِعَادَةُ، فَكَانَتْهُ قَالَ: **ثُمَّ ذَاكَ الَّذِي أَنْشَأَ النَّشْأَةَ الْأُولَى هُوَ الَّذِي يَنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ**، فَلِلتَّنْبِيهِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى أُبْرِزَ اسْمُهُ وَأَوْقَعَهُ مُبْتَدَأً، يُرِيدُ أَنْ الْعُدُولَ عَنِ الْإِضْمَارِ إِلَى الْإِسْمِ الظَّاهِرِ لِتَسْجِيلِ وَفُوعِ هَذَا الْإِنْشَاءِ الثَّانِي، فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ مُسْتَقَلَّةً حَتَّى تَكُونَ عُنْوَانِ اعْتِقَادٍ بِمَنْزِلَةِ الْمَثَلِ لِأَنَّ فِي اسْمِ الْجَلَالَةِ إِحْضَارًا لِجَمِيعِ الصِّفَاتِ الدَّائِيَّةِ الَّتِي بِهَا التَّكْوِينُ، وَلِيُفِيدَ.. مَعْنَى التَّقْوَى، وَجُمْلَةٌ (**إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) تَدْبِيلٌ، أَي قَدِيرٌ عَلَى الْبُعْثِ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ إِذَا أَرَادَهُ. وَإِظْهَارُ اسْمِ الْجَلَالَةِ لِتَكُونُ جُمْلَةٌ التَّدْبِيلِ مُسْتَقَلَّةً بِنَفْسِهَا فَتَجْرِي مَجْرَى الْأَمْثَالِ "٤٧.



^{٤٦} محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨ هـ (١٧ ٥٥١).

^{٤٧} محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتوير، دار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤ هـ (١٢٠ ٢٣٠).

الحقل العلمي Scientific Field

Astronomy

فلك

Subject الموضوع

Creation of the universe

خلق الكون

Related Texts نصوص متعلّقة

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ. وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٢٩ العنكبوت: ١٩-٢٢.
- ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خُلِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خُلِقَ أَنْفُسُهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ الكهف: ٥١.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ ٢١ الأنبياء: ٣٠.
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ ١٠ يونس: ٣.
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ٧ الأعراف: ٥٤.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ. وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُجُومًا اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٍ مِنْ أُعْنَابٍ وَزَّرْعٍ وَخَيْلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفُضِلَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٣ الرعد: ٢-٤.
- ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩ النازعات: ٢٧-٣٣.
- ﴿وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا. وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا. لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ ٧٨ النبأ: ١٢-١٥.
- ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خُلِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ ٩ التوبة: ٣٦.
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٧ الأعراف: ٥٤.
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مَنْ بَعْدَ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ١٠ يونس: ٣.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ١١ هود: ٧.
- ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ ٢٥ الفرقان: ٥٩.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ. يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢ السجدة: ٤٥.
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُثُوبٍ﴾ ٥٠ ق: ٣٨.

- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ٥٧ الحديد: ٥٤.
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ ٧٠ المعارج: ١-٧.
- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ٥٧ الحديد: ٢٥.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٢ البقرة: ٢٢.
- ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. صُمُّ بُكُمْ عَمِيَ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ. أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ. يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢ البقرة: ١٧-٢٠.
- ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ﴾ ٢١ الأنبياء: ٣٢.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مُتْرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّيْحَانُ مُمْتَشِبًا. غَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٦ الأنعام: ٩٩.
- ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنٍ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَيَلْأَرْضِ انْتَبِي طُوعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنٍ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١ فصلت: ٩-١٢.
- ﴿أَلَمْ تَنْتَهِمْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ ٦٧ الملك: ١٦.
- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّنَبِّئُوا فَضُلًّا مِنَ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ١١٧ الإسراء: ١٢.
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢ البقرة: ٢٩.
- ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ ١٢ يوسف: ٤.
- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ. إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ٨٦ الطارق: ١١-١٤.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ١٣ الرعد: ٤١.
- ﴿أَلَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ. بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ. قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّةُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ ٢١ الأنبياء: ٤٣-٤٥.
- ﴿وَالطُّورِ. وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ. فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ. وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ. وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ. وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ. إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ. يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا. وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا. فَوَيْلٌ لِّيَوْمِنَا لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٥٢ الطور: ١-١١.
- ﴿أَمَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ. أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧ النمل: ٦٠ و٦١.
- ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ١٦ النحل: ١٥.
- ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ٢١ الأنبياء: ٣١.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٠ غافر: ٦٤.

- ﴿لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ٧٨ النبأ: ٧٠.
- ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ٢٧ النمل: ٨٨.
- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا. فَاتَّبَعَ سَبَبًا. حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُتَّخَذُ فِيهِمْ حُسْنًا. قَالَ أَأَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا. وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا. ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا. حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ ١٨ الكهف: ٨٣-٩٠.
- ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨.

